آيات صفات وارثي الفردوس في مطلع سورة المؤمنين

دراسة بيانية وتربوية

تاريخ تسلّم البحث ٢٠٠٢/٦/٢٣ تاريخ قبـوله للنشر ٢٠٠٣/٧/١٠

*نايل ممدوح ابوزيد**

Abstract

This study investigates rehetorical as well as educational aspects of Quranic verses depicting life of Paradise dwellers as revealed in Surat Almom ineen. Examination of verses reveals rehetorical accuracy of Quranic usage of terms within certain context, as well as educational implications embodied in such verses. Concluding his investgation, the researcher asserts that Quranic verses embody rehetorical and supreme educational values that lead to a prosperous and happy life for Man on earth as well as Paradise dwelling in the hereafter.

ملخّص

تعالج هذه الدراسة الجانب البياني والجانب التربوي في الآيات التي تتحدث عن صفات وارثي جنة الفردوس من سورة المؤمنين، حيث وقفت من خلالها على الدقة البيانية في استعمال القرآن للألفاظ داخل النظم، إضافة إلى الجوانب التربوية التي أشارت إليها هذه الآيات، فوجدت منهجا ربانيا يجمع إلى جانب دقة النظم وبلاغته قيما تربوية عظيمة ترقى في المجتمعات إلى أعلى المستويات الرفيعة بما تحققه من سعادة في الدنيا، وفوز بوراثة جنة الفردوس يوم القيامة.

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين وصلاة وسلاما دائمين على الرحمة المهداة للعالمين سيدنا رسول الله وبعد: فالقرآن الكريم كتاب مبين، لا تنقضي عجائبه ولا يخلق من كثرة الرد، حوى من سبل البيان وفصاحة اللسان، و مكنونات النظم ما يعجز أهل الفصاحة والبيان، عن الإتيان بمقدار أقصر سورة منه، وهو الصراط المستقيم للباحثين عن النهج القويم، والسلوك التربوي السليم، الذي يوفر السعادة في الحياة الدنيا والسرور والسلامة في الدار الآخرة.

* جامعة مؤتة/ قسم أصول الدين.

ولما كانت آيات سورة المؤمنين قد حوت جزءا واسعا من هذين الجانبين وخاصة الآيات العشر الأولى منها، فقد رأيت أن أكتب بحثا حولها يجمع بين الجانب البياني والجانب التربوي فيها، لا سيما وأنها تتحدث عن قوم كتب لهم الله السعادة والتوفيق، والخير والنصرة، والمتاع الطيب في الحياة الدنيا، والنجاة من النار في الحياة الآخرة، وفي ذلك يقول عليه الصلاة والسلام «أنزل عليّ عشر آيات من أقامهن دخل الجنة ثم قرأ قد أفلح المؤمنون حتى ختم عشر آيات»[1].

وهي السبيل الهادي إلى وراثة الفردوس، أسمى منزلة في الجنة، لقول الرسول صلى الله عليه وسلم لرُبَيِّع بنت البراء وهي تسأل عن حال ولدها حارثة بعد استشهاده في بدر: «يا أم حارثة إنها جنة في جنة وإن ابنك أصاب الفردوس الأعلى والفردوس ربوة الجنة وأوسطها وأفضلها»[2] وقوله -صلى الله عليه وسلم- «فإذا سألتم الله فاسألوه الفرودس فإنه أوسط الجنة وأعلى الجنة»[3] وآيات ترشد إلى صفات تحقق هذا الفضل وتلك المنزلة، حري بالباحثين أن يقفوا عندها وقفة تأمل طويلا.

وقد بحثت بقدر طاقتي وجهدي لأجد من أفرد هذا الموضوع ببحث يجمع بين الجانب البياني والجانب التربوي فيها، فما وجدت سوى إشارات في بعض كتب التفسير والحديث.

وقد سرت في البحث على خطة اشتملت على مقدمة ومبحثين وخاتمة، فكانت على النحو التالي:

المقدمة: وفيها سبب نزول الآيات وصلتها في السياق القرآني.

المبحث الأول: الجانب البياني للآيات.

المطلب الأول: قوله تعالى «قد أفلح المؤمنون. الذين هم في صلاتهم خاشعون. والذين هم عن اللغو معرضون»(المؤمنون/١-٣).

المطلب الثاني: قوله تعالى «والذين هم للزكاة فاعلون.والذين هم لفروجهم حافظون. إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فإنهم غير ملومين. فمن ابتغى

وراء ذلك فأولئك هم العادون»(٤-٧).

المطلب الثالث: قوله تعالى: «والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون.والذين هم على صلواتهم يحافظون.»(المؤمنون/٨-٩).

المطلب الرابع: قوله تعالى: «أولئك هم الوارثون. الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون»(المؤمنون/١٠-١١).

المبحث الثاني: الجانب التربوي للآيات

المطلب الأول: ربط الإيمان بالفلاح

المطلب الثاني: الخشوع في الصلاة

المطلب الثالث: حفظ اللسان عن اللغو

المطلب الرابع: الإنفاق في سبيل الله

المطلب الخامس: حفظ الفروج

المطلب السادس: أداء الأمانات وحفظ العهود

المطلب السابع: المحافظة على الصلاة

الخاتمة: وفيها ما توصلت إليه من نتائج

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الله تعالى: «قد أفلح المؤمنون. الذين هم في صلاتهم خاشعون. والذين هم عن اللغو معرضون. والذين هم للزكاة فاعلون. والذين هم لفروجهم حافظون. إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فإنهم غير ملومين. فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون. والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون. والذين هم على صلواتهم يحافظون. أولئك هم الوارثون. الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون» (سورة المؤمنون/الآيات ١-١١).

سبب نزول الآيات

نزل القرآن الكريم على رسول الله -صلى الله عليه وسلم- على قسمين :قسم نزل ابتداء من غير أن يرتبط بسبب نزول خاص وهو كثير في كتاب الله عز وجل، وقسم آخر نزل تبعا للوقائع والأحداث متعلقا بسؤال أو واقعة، فتنزل الآية أو الآيات إجابة عن ذلك السؤال، أو متحدثة عن تلك الواقعة مبينة حكمها.

وقد ذكر العلماء في سبب نزول هذه الآيات من سورة المؤمنين روايات متعددة منها ما روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: «كان رسول الله -صلى الله عليه وسلم- إذا نزل عليه الوحي سمع عنده دوي كدوي النحل فمكثنا ساعة فاستقبل القبلة، ورفع يديه، فقال :اللهم زدنا ولا تنقصنا وأكرمنا ولا تهنا، وأعطنا ولا تحرمنا، وآثرنا ولا تؤثر علينا، وارض عنا وأرضنا، ثم قال :لقد أنزل علي عشر آيات من أقامهن دخل الجنة، ثم قرأ قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون الآيات».[٤]

وهذا الحديث ضعيف فهو من رواية يونس بن يزيد الصنعاني، قال فيه الذهبي: «روى عن عبد الرزاق وتكلم فيه، ولم يعتمد روايته، وقال فيه العقيلي يونس لا يتابع على روايته ولا يعرف إلا به... وذكر الذهبي رأي النسائي في هذا الحديث بقوله :قال النسائي: هذا حديث منكر»[٥].

وذكر البيهقي عن أبي هريرة سببا آخر للنزول بقوله: «كان رسول الله -صلى الله عليه وسلم- إذا صلى رفع رأسه إلى السماء تدور عيناه ينظر هاهنا وهاهنا فأنزل الله عز وجل (قد أفلح المؤمنون.الذين هم في صلاتهم خاشعون)»[٦].

والحق أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- له من الخلق الكريم ما يمنعه من أن يرفع بصره إلى السماء وهو بين يدي مولاه جل وعلا، ، فقد أثنى الله عليه في رحلة الإسراء والمعراج مبينا أدبه -عليه الصلاة والسلام- والخلق الكريم الذي تحلى به في موطن يبهر الأبصار، ويحملها على الزيغ عجبا مما ترى، حيث لم يزغ بصره عليه السلام، إجلالا لوقوفه بين يدي مولاه فقال تعالى مثنيا عليه «ما زاغ البصر وما طغى. لقد رأى من آيات ربه الكبرى»(سورة النجم/ ١٧-١٨) إذن فكيف يطغى بصره -صلى الله عليه وسلم- بين يدي الله وهو في الصلاة؟

ثم كيف ينهى عليه الصلاة والسلام عن فعل ثم يأتي ما نهى عنه وهو قدوة المؤمنين، القائل «ما بال أقوام يرفعون أبصارهم إلى السماء في صلاتهم لينتهن عن ذلك أو لتخطفن أبصارهم»[٧].

ثم إن هذا الحديث الذي ذكره الواحدي من مراسيل ابن سيرين[٨]، ولم يثبت بسند صحيح، وعليه فلا أراه سببا للنزول.

ونظرا لعدم ثبوت صحة هذه الروايات في سبب النزول أرى أن هذه الآيات من مطلع سورة (المؤمنون) قد نزلت ابتداء.

مناسبة الآيات في السياق القرآني

أ. مناسبتها لما سبقها من آيات

إذا أمعنا النظر في الآيات من آخر سورة الحج وهي الآيات التي تلتها هذه الآيات من سورة المؤمنين، فإننا نجد ارتباطا وثيقا بينها، الأمر الذي يؤكد ما قرره علماء الأمة من القول بأن آيات القرآن شديدة الارتباط والصلة ببعضها.

وقد ذكروا لصلة هذه الآيات بما سبقها من أواخر سورة الحج وجوها عدة - منها: أن الله عز وجل قد خاطب المؤمنين في آخر سورة الحج بقوله: «يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون»(الحج/٧٧) وذلك على سبيل الترجية فناسب ذلك قوله (قد أفلح المؤمنون) (المؤمنون/١) إخبارا بحصول ما كانوا قد رجوه[٩].

- **ومنها:** أنه لما ختم سورة الحج بنداء الذين آمنوا، وأمرهم بأمور الدين خاصة وعامة، وختم بالصلاة، والزكاة، والعصمة به سبحانه موصوفا بما ذكر، أوجب ذلك توقع المنادين كل خير، فابتدأت سورة المؤمنين بما يثمر الاعتصام به سبحانه في الصلاة وغيرها من خلال الدين في الدارين[١٠].

- **ومنها:** أنه سبحانه قد ختم سورة الحج بهذا الخطاب العام للمؤمنين الذين اصطفاهم الله واجتباهم، وقد تضمن الخطاب دعوة الحق إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة، والاعتصام بالله ثم ختم بقوله: «واعتصموا بالله هو مولاكم فنعم

المولى ونعم النصير»(الحج /٧٨)، وبدأ سورة المؤمنين بقوله «قد أفلح المؤمنون إلى أخر الآيات»(المؤمنون/١-١٠) فهو استقبال كريم لهؤلاء المؤمنين الذين دعوا إلى الله واستجابوا لدعوته وآمنوا به، فهؤلاء المؤمنون قد أفلحوا، وفازوا برضوان الله...وكان هذا الخبر من معجل البشارات لهم في الدنيا[١١].

- **ويمكن أن نضيف:** إن الله عز وجل قد فصّل في سورة المؤمنين ما أجمله في أواخر سورة الحج بقوله: «يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون»(الحج/٧٧) حيث أمرهم فيها بالعبادة عامة وفعل الخير، فابتدأت سورة المؤمنين ببيان عبادات، ومعاملات، وأخلاق مطلوبة منهم يتحقق من خلالها فلاحهم، وفوزهم بوراثة الفردوس.

والوجوه السابقة لهذا الرأي الأخير وإن كان لها وجه في المناسبة والصلة، ولكنني أرى أن الرأي الأخير أقرب منها جميعا؛ وذلك لأن ما جاء في أواخر سورة الحج أمر بالركوع والسجود، وفعل الخيرات، ومطلع سورة المؤمنين يبين الفلاح المترتب على هذه العبادات و الأخلاق.

ب. مناسبتها لما بعدها

وأما ارتباط الآيات بما بعدها في السياق القرآني فقد ذكر أهل التفسير فيه وجوها أيضا:-

- **منها:** أن الله عز وجل قد أمر في الآيات السابقة بالعبادات من صلاة وغيرها والاشتغال بعبادته لا يصح إلا بعد معرفة الإله الخالق؛ لذا أعقبها بذكر ما يدل على وجوده، واتصافه بصفات الجلال والوحدانية[١٢].

-**ومنها:** لما ذكر جل وعلا المتصفين بتلك الصفات الجليلة بأنهم الوارثون للفردوس وقد تضمن ذلك المعاد الأخروي، فذكر تبعا لذلك النشأة الأولى ليستدل بها على صحة النشأة الآخرة[١٣].

- **ومنها:** أنه قد كان ما سبقها من آيات عرضا مسعدا للمؤمنين المفلحين، وفي مقابل هذا العرض تتراءى للقاريء صورة الضالين الغاوين، ولكن كان من رحمة الله بهؤلاء الضالين أن حجب صورتهم السيئة وذكرهم بما يعطيهم فرصة

الالتحاق بالمفلحين؛ فعرض عليهم -سبحانه وتعالى- شيئا من مظاهر قدرته، وعلمه وحكمته، يجدونها في أنفسهم بأن أخرج من التراب هذا الإنسان السميع البصير العاقل الناطق[١٤].

- **ومنها:** أنه انتقال من صفات المؤمنين إلى بيان دلائل الإيمان في حياة الإنسان ذاته، وفي أطوار وجوده، ونموه مبتدأ بأصل النشأة الإنسانية ومنتهيا إلى البعث والآخرة مع الربط بين الحياتين[١٥].

- ويمكن أن نضيف أن الله عز وجل قد ذكر الفردوس وصفات أهلها، ولما كان دخولهم لها يتوقف على الموت والبعث بعده، أعقب ذلك بذكر مبدأ الإنسان في هذه الحياة، ثم نهايته بالموت والبعث لتحصيل هذه النتيجة.

وما ذكر من آراء في مناسبة الآيات من مطلع سورة (المؤمنون) وارتباطها بما بعدها من الآيات وجوه مقبولة، ولكن الرأي الأخير أقرب منها جميعا من وجهة نظري؛ وذلك لكون الآيات التي تلتها تتحدث عن نشأة الإنسان وموته، وبعثته بعد الموت، ومطلع السورة يتحدث عن فلاح من اتصفوا بهذه الصفات ووراثتهم للفردوس، ومعلوم أن وراثتها على الحقيقة لا تتم إلا بعد الموت والبعث.

المبحث الأول

الجانب البياني في الآيات

إن القرآن الكريم دستور الهي أنزله رب العالمين لتنظيم حياة البشر، فحوى في آياته جوانب تربوية، وأخلاقية، وأسسا تشريعية مقرونة ببلاغة في النظم ودقة في الأسلوب.

والناظر في الآيات العشر الأولى من سورة المؤمنين يجد أنها قد أشارت إلى جوانب من العبادات والأخلاق، تحقق دستورا تربويا للراغبين بحياة هنيئة في الدنيا، وسعادة في الآخرة محفوفة بدقة في النظم، وروعة في الأسلوب.. **ونبدأ الحديث عن الجانب البياني فيها:**

المطلب الأول: قوله تعالى: «قد أفلح المؤمنون. الذين هم في صلاتهم

خاشعون. والذين هم عن اللغو معرضون».(المؤمنون /الآيات ١-٣)

تميزت سورة المؤمنين بهذا البدء العجيب «قد أفلح» فلم تبدأ سورة بقد إلا هذه السورة، وسورة المجادلة فاقترن بسورة المؤمنين الفلاح بقد، وفي سورة المجادلة السماع بقد، وكل سورة منهما فيها دلالة على أمر عظيم. فسورة المؤمنين افتتحت ببشارة للمؤمنين بفلاح في الدارين، وسورة المجادلة ابتدأت ببيان جلال وعظيم قدرة من وسع سمعه الأصوات كلها، فعبر عن السماع في الماضي مقرونا بقد في سورة المجادلة وعن الفلاح بالماضي مقرونا بقد أيضا في سورة المؤمنين، «وقد حرف إخبار، إلا أنها أبدا تلزم الفعل ماضيا أو مضارعا، فتكون مع الماضي، حرف تحقيق، وتكون مع المضارع حرف توقع تارة وهو كثير... وقد تكون للتحقيق معه وهو قليل»[١٦].

وفي تقييد الفعل أفلح ب(قد) إشارة إلى أن ما يرجوه المؤمنون قد تحقق بحرف التحقيق[١٧]، ويجوز أن يكون التعبير ب(قد) تقريبا للماضي من الحال فيكون المعنى في الآية أن الفلاح قد حصل لهم وأنهم عليه في الحال[١٨].

والفلح: الشق والقطع[١٩] والمفلح شق طريقه وأدرك غايته، وأدرك طلبه، فإن كان من أهل الإيمان فقد حقق مطلوبه في الدارين «فظفر وأدرك البغية على ضربين دنيوي وأخروي، فالدنيوي الظفر بالسعادات التي تطيب بها الحياة...وفلاح أخروي وذلك بأربعة أشياء: بقاء بلا فناء، وغنى بلا فقر، وعز بلا ذل، وعلم بلا جهل»[٢٠]، فالمفلح فاز بمراده، وحقق ما فيه سعادته وظفر بمطلوبه.

وأفاد إطلاق الفلاح للمؤمنين دون ذكر متعلق بفعل الفلاح: «تعميم ما به الفلاح المطلوب، فكأنه قيل قد أفلح المؤمنون في كل ما رغبوا فيه»[٢١]، والمؤمنون هم المصدقون بما عند الله، وبأنه لا شريك له، وأن محمدا نبيه ورسوله[٢٢] فالإيمان في اللغة: التصديق، وفي الشرع: تصديق القول بالعمل...فالإيمان الشرعي المطلوب لا يكون إلا اعتقادا وقولا وعملاً[٢٣]. وفي ربط القرآن للفلاح بالإيمان إرشاد لكونه سببا عظيما في تحقيق السعادة، والسرور «فإن الإيمان وصف جامع للكمال لتفريغ الكمال جميعه عليه»[٢٤].

وفي التعبير بالاسم الظاهر (المؤمنون) بدلا من المضمر إشارة إلى أن من أقر

بالإيمان وعمل به استحق هذا الوصف الثابت فأفلح[٢٥]. ثم يقيد القرآن الإيمان بما يدل على صدقه، ويجري الصفات على المؤمنين بالتعريف بالموصول (الذين) ويكرره مع كل صفة، وفي ذلك إيماء إلى وجه فلاحهم وعلته. وبدأ في الصلاة لأهميتها ومنزلتها، فهي عبادة تجب على كل مكلف مهما كان وضعه الاقتصادي، أو الاجتماعي، أو الصحي، ويشترك فيها كيان الإنسان بأكمله «فإذا كان الجسم يتحرك بأركان الصلاة ركوعا، وسجودا، وقياما، وقعودا فإن الفكر يتدبر ويتأمل وإن الروح لتخشع، وتعرج في ملكوت الله»[٢٦].

ويضيف القرآن الصلاة إليهم، وفي هذه الإضافة إشارة إلى أن أهل الإيمان هم المنتفعون بها؛ «فالصلاة دائرة بين المصلي والمصلى له، فالمصلي هو المنتفع وحده، وهي عدته وذخرته فهي صلاته، أما المصلى له فتعالى عن الحاجة إليها والانتفاع بها»[٢٧].

وفي إضافتها إليهم ترغيب للمؤمنين بضرورة المحافظة عليها، فإن من أضيف إليه الشيء ينبغي أن يرعاه، ويحرص عليه.

ويوضح تقديم الجار والمجرور (في صلاتهم) على (خاشعون) مدى أهمية الصلاة وشرفها، وفيه رعاية لتنظيم فواصل الآيات، «وليقرب ذكر الصلاة من ذكر الإيمان فإنهما أخوان، وقد جاء إطلاق الإيمان عليها في قوله «وما كان الله ليضيع إيمانكم»(البقرة/١٤٣)»[٢٨].

وتعبير القرآن بالجملة الاسمية (في صلاتهم خاشعون) بدلا من الفعلية (صلوا) أو (يصلون) يفيد الثبات والاستمرار، فخشوع هؤلاء العباد مستمر دائم في الصلاة، هيبة وإجلالا لله سبحانه وتعالى.

واختيار القرآن لحرف الجر (في) دون غيره من الحروف في قوله تعالى: (في صلاتهم) لكونه من معانيه الظرفية الزمانية[٢٩] وبذلك ترشدنا الآية إلى أن خشوع هذه الصفوة مستغرق زمن الصلاة بلا انقطاع.

وفي تقييد الصلاة بالخشوع بيان لحقيقة الصلاة المطلوبة شرعا «فالخشوع في الصلاة إنما يحصل ممن فرّغ قلبه لها، واشتغل بها عما عداها، وآثرها على

غيرها، وحين إذن تكون راحة له وقرة عين»[٣٠].

يقول أبو الدرداء في معنى الخشوع «هو إعظام المقام، وإخلاص المقال، واليقين التام وجمع الاهتمام»[٣١].

وبعد تتبعي لاستعمال القرآن كلمة الخشوع ومشتقاتها وجدتها في سبعة عشر موضعا منه، وكلها يدور معناها حول الخضوع والتذلل، لكنه قد يكون خضوعا وتذللا قهريا، ناجما عن صغار وهوان كما في قوله تعالى: «خاشعة أبصارهم ترهقهم ذلة»(القلم /٤٣)، وقد يكون خضوعا وتذللا عن اختيار، استجابة لأمر الواحد القهار، وطلبا لمرضاته، كما في قوله تعالى: «الذين هم في صلاتهم خاشعون»(المؤمنون/٢).

فالخاشع هنا الذي ذلل نفسه وعودها أن تطمئن إلى أمر الله، وتطلب حسن العواقب، وأن لا تغتر بما تزينه الشهوة الحاضرة[٣٢] فيستعمل جوارحه، وقلبه وسمعه، وبصره في الصلاة، ولا يغفل عن تدبر ما يتلو من الذكر.

وبناء على هذا فالأقرب القول بأن الخشوع من أعمال القلوب، والجوارح تخشع تبعا لها، إذ الخشوع مبني على خشية القلب، فإن وقعت الخشية لله في القلب ظهرت آثارها على الجوارح، وفي ذلك يقول الفخر الرازي، «واختلفوا في الخشوع فمنهم من جعله من أفعال القلوب كالخوف، والرهبة، ومنهم من جعله من أفعال الجوارح كالسكوت، وترك الالتفات، ومنهم من جمع بين الأمرين وهو الأولى»[٣٣].

وفي ذكر القرآن للخشوع في مقدمة صفات الوارثين تنويه بشأنه، وإعظام له[٣٤].

ويأتي التعبير القرآني عن الخشوع بالجملة الاسمية بدلا من الفعلية في الآية في قوله تعالى: «الذين هم في صلاتهم خاشعون»(المؤمنون /٢) وذلك لما تدل عليه الاسمية من ثبات الخشوع لهم ودوامهم عليه، فهو مدح لهم بأن الخشوع في الصلاة خلق ثابت في كل صلاة يؤدونها.

وتخصيص الخشوع في الصلاة بالذكر مع أنه مطلوب من المؤمنين تجاه رب

العالمين في جميع أحوالهم «لأن الصلاة به أعلق فإن الصلاة خشوع لله وخضوع له، ولأن الخشوع لما كان لله تعالى كان أولى الأحوال به حال الصلاة لأن المصلي يناجي ربه فيشعر نفسه أنه بين يدي ربه فيخشع له»[٣٥].

ثم يتبع الكتاب المبين صفة الخشوع صفة ثانية لهؤلاء المؤمنين الوارثين وهي صفة الإعراض عن اللغو: «وهو ما لا يفيد من الأقوال والأفعال»[٣٦] وذلك في قوله تعالى: «والذين هم عن اللغو معرضون»(المؤمنون/٣).

وإنما قدم عليها صفة الخشوع في الصلاة في الذكر وذلك لكون تجنب اللغو متسببا عن الخشوع فيها، «فلما كان كل من الصلاة والخشوع صادا عن اللغو أتبعه بهما»[٣٧] ثم إن الخشوع في الصلاة فعل مطلوب، والإعراض عن اللغو ترك للفعل، فأتبعه القرآن بالخشوع في الصلاة «ليجمع لهم الفعل والترك الشاقين على الأنفس اللذين هما قاعدتا بناء التكاليف»[٣٨].

وإعادة القرآن الاسم الموصول (الذين) مع كل صفة من الصفات والتي منها الإعراض دون الاكتفاء بالعطف «للإشارة إلى أن كل صفة من هذه الصفات موجبة للفلاح...ولما في الإظهار في مقام الإضمار من زيادة تقرير للخير في ذهن السامع»[٣٩].

وفي التأكيد بالضمير (هم) بيان لزيادة الاهتمام، وإيضاح لمدى حرصهم على الابتعاد عن فعل اللغو.

وتقديم الجار والمجرور (عن اللغو) على الإعراض يفيد الحصر[٤٠] فهم قوم لشدة إعراضهم عن اللغو كأنهم لا هم لهم إلا تركه، والإعراض عنه.

والإعراض عن الشيء أن يولي الإنسان عنه مبديا عرضه[٤١]، والمراد به عدم الإقبال على الشيء من العرض وهو الجانب، لأن من يترك الشيء يوليه جنبه من غير التفات له، ولا حتى مجرد تفكير فيه، لذا فقد جاء التعبير القرآني بالإعراض في مقام الترك «ليدل على تباعدهم عنه رأسا مباشرة، وتسببا وميلا، وحضورا»[٤٢].

والتعبير القرآني بالجملة الاسمية بدلا من الفعلية في بيان إعراض المؤمنين

عن اللغو فيه إشارة إلى ثباتهم على هذا الإعراض، واستمرارهم في ذلك «فاتصافهم بصفة الإعراض عن اللغو في كل الأوقات، ويدخل وقت الصلاة في ذلك دخولا أوليا»[٤٣].

المطلب الثاني: قوله تعالى: «والذين هم للزكاة فاعلون. والذين هم لفروجهم حافظون (٠) إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فإنهم غير ملومين. فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون»(المؤمنون /الآيات ٤-٧).

ولما كان الإنسان معرضا بحكم طبيعته البشرية إلى الوقوع في اللغو بسبب اللسان أتبعه القرآن بذكر صفة أخرى للوارثين وهي فعل الزكاة في قوله تعالى: «والذين هم للزكاة فاعلون»(المؤمنون/٤)، وذلك لأن إنفاق المال في سبيل الله مكفر للغو ولغيره من معاصي المؤمنين وذنوبهم بدليل قوله تعالى: «خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم إن صلاتك سكن لهم»(التوبة /١٠٣).

وأصل الزكاة مصدر زكىّ المشدد إذا طهر النفس من المذمات، ثم أطلقت على إنفاق المال لوجه الله مجازا؛ لأن القصد من ذلك المال تزكية النفس، أو لأن ذلك يزيد في مال المعطي[٤٤].

وقد ذهب الإمام الطبري إلى أن المراد بالزكاة هي زكاة الأموال التي فرضها الله على المؤمنين[٤٥] وهذا ما رجحه الفخر الرازي[٤٦] والثعالبي،[٤٧].

لكن سورة المؤمنين مكية، والزكاة المفروضة شرعت في المدينة، وقد وجه ابن كثير ذلك بقوله: «فالأكثرون على أن المراد بالزكاة هنا زكاة الأموال... والظاهر أن التي فرضت بالمدينة إنما هي ذات النصب والمقادير الخاصة وإلا فالظاهر أن أصل الزكاة كان واجبا بمكة... وقد يحتمل أن يكون كلا الأمرين مرادا وهو زكاة النفوس والأموال، والمؤمن الكامل هو الذي يفعل ذلك»[٤٨].

فالآية تدل على وجوب الزكاة، وكون الزكاة الشرعية المحددة النصب لم تفرض إلا في السنة الثانية للهجرة فيحمل عندئذ وصفهم بفعلها في هذه الآية من سورة المؤمنين على أنهم كانوا بمكة يؤمرون بمطلق الإنفاق[٤٩].

وسر وصف الوارثين بفعل الزكاة بعد الخشوع في الصلاة، والإعراض عن اللغو «فللدلالة على أنهم لم يألوا جهدا بالعبادة البدنية والمالية»[٥٠]، وأما توسيط حديث الإعراض بين الصلاة والزكاة: فلأن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر واللغو، لكن قد يزل الإنسان في هذا بالقول والكلام، فتأتي الصدقة لتكفر اللغو وزلات الكلام مصداقا لقول الرسول -صلى الله عليه وسلم-: «والصدقة تطفيء الخطيئة كما يطفيء الماء النار»[٥١].

وفي إعادة الموصول تأكيد على أن هذه الصفة المعطوفة على ما سبقها ليست أقل منها منزلة، وإنما لها فضل كبير أيضا في تحقيق الفلاح، وتحصيل الوراثة للفردوس، وتقديم المعمول (للزكاة) على (فاعلون)، والتأكيد بالضمير «هم» للدلالة على مدى اهتمامهم بها، وكأنهم لا هم لهم إلا بذل المال وإنفاقه في سبيل الله.

والتعبير عن فعل الزكاة بالجملة الاسمية فيه دلالة على مدى مداومة هؤلاء الوارثين واستمراريتهم وثباتهم على ذلك.

والمراد من فعل الزكاة أداؤها، وإنما جاء التعبير القرآني عن الأداء بالفعل لكون الزكاة اسم مشترك بين عين ومعنى «فالعين: القدر الذي يخرجه المزكي من النصاب إلى الفقير، والمعنى فعل المزكى الذي هو التزكية، وهو الذي أراده الله»[٥٢]

ومن أسرار التعبير بالفعل عن الأداء للزكاة، أن الزكاة مؤقتة بوقت، وينبغي الحرص على أدائها في الوقت المحدد لقوله تعلى: «وآتوا حقه يوم حصاده» (الأنعام/١٤١).

ويذكر صاحب التفسير القرآني للقرآن سببا آخر بقوله «وفي التعبير عن أدائهم للزكاة بأنهم فاعلون لها إشارة إلى أن الزكاة لا تعتبر من نافلة الأعمال التي تصدر من غير وعي أو شعور من الإنسان، بل إنها شيء عظيم يحتاج إلى يقظة كاملة ممن يؤدونها»[٥٣].

ونلاحظ أيضا أن القرآن قد عبر عن الأداء بالفعل دون العمل، مع أن العمل يكون لما يمتد زمانه بخلاف الفعل الذي يقع دفعة واحدة[٥٤] وفي ذلك ثناء على

هؤلاء الوارثين ببيان شدة حرصهم على أدائها، فلا يقصرون في أدائهم لها في زمان دون زمان، وإنما يؤدونها من غير تأخير.

ثم يبين القرآن صفة رابعة للوارثين وهي صفة حفظ الفروج عما حرم الله في قوله تعالى: «والذين هم لفروجهم حافظون. إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فإنهم غير ملومين» (المؤمنون/٥-٦) حيث أتبعها بصفة الأداء للزكاة التي يترتب عليها إنفاق المال؛ فجمع لهم بذلك بين بذل المال في الخير، والامتناع عن بذله في الرذيلة، ثم إنه «لما أشار إلى بذل المال على وجهه طهرة، وأن حبسه عن ذلك تلفة، أتبعه بالإيماء إلى أن بذل الفرج في غير وجهه نجاسة، وحفظه طهرة»(٥٥).

وإن هذا الترتيب في غاية الجمال البياني، فاللغو داع إلى الرذيلة، والمال أيضا من أسباب دواعيها، ومغرياتها في بعض الأحيان، فكان ذكرها تبعا لذلك ترتيبا له حلاوة وعليه طلاوة، لا تخفى؛ فهو يشير بذلك إلى صفوة حفظت ألسنتها عن اللغو، وفروجها عن الدنس، فلزمت بذلك جانب العفة والطهارة.

ونجد القرآن يكرر ذكر الاسم الموصول هنا، ويؤكد بالضمير هم في قوله (والذين هم لفروجهم حافظون) ليبين أن حفظ الفروج عن دنس المعصية لا يقل عما سبقه من الصفات في الرقي إلى المنزلة العالية، التي تورث صاحبها الفردوس.

والفرج يطلق على فرج الرجل والمرأة،فهو اسم لسوأتهما، والمراد بحفظهم لها أنهم ممسكون لها بالعفاف عما لا يحل(٥٦).

وفي تعبير القرآن عن الإمساك والصيانة بالحفظ ثناء على أولئك الوارثين فالحافظ لشيء يرعاه ويحرص عليه من جميع جوانبه، فهم يحرصون على حفظها وصيانتها عن كل ما يغضب الله تبارك وتعالى.

وفي التعبير عن حفظ الفروج بالجملة الاسمية دلالة على ثباتهم واستمرارهم على الحفظ لها عن ما يغضب الله في كل وقت وحين.

ولا شك في أن ما سبق من صفات كفيل في أن يغرس فيهم العفة وحفظ

الفروج، ولكن التنصيص على حفظها فيه إشارة إلى أنهم بشر أصحاب شهوة، ولكنهم يكبحون جماحها عما يغضب الله طاعة له، وفيه أيضا «إيذان بأن قوتهم الشهوية داعية لهم إلى ما لايخفى، وأنهم حافظون لها على استيفاء مقتضياتها وبذلك يتحقق كمال العفة»[٥٧].

واستثنى القران من حفظ الفروج حفظها عن الزوجة، وملك اليمين في قوله تعالى: «إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم» لكونه لا لوم فيه، فهو مما تستدعيه فطرة الإنسان «تماما كالإمساك عن اللغو من الكلام مع إباحة الحديث الطيب»[٥٨].

وقد أطلق القرآن إباحة الوطء للأزواج، وملك اليمين، مع أن هنالك أحوالا يحرم الوطء فيها، كالحيض، والنفاس، وذلك مبالغة في بيان ما أحله الله «ولأن الغرض بالآية بيان جنس ما يحل وطؤها دون الأحوال التي لا يحل فيها الوطء»[٥٩].

وسر التعبير بعلى يفيد تضمين الحفظ معنى الإمساك؛ لأن الإمساك يتعدى بعلى[٦٠] من باب قوله تعالى «أمسك عليك زوجك»(الأحزاب/٣٧)، وفيه إشارة إلى علو الذكر أُنثاه، ومن ثم سميت المرأة فراشا[٦١]، ثم إن من معاني الحرف (على)التمكن والاستعلاء و ذكره يشير إلى معنى العفاف والتمكن منه بالاستعلاء على ما لا يحل.

وفي التعبير بالأزواج بدلا من النساء إشارة إلى المودة والسكنى التي تكون بهذا الاجتماع، فالزوج ما كان ثانياً بغيره، يشهد لذلك قوله تعالى: «ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة»(الروم/٢١).

وفي إضافة الأزواج، وملك اليمن إليهم أيضا إشارة إلى أنه لا يحل لهم إلا ما نسب لهم من أزواج، وما ملكوه من ملك يمين.

وعبر القرآن ب(ما) بدل (من) عن ملك اليمين «لأنه اجتمع في السرية وصفان أحدهما الأنوثة وهي مظنة نقصان العقل والآخر كونها بحيث تباع وتشترى كسائر السلع، فلاجتماع هذين الوصفين فيها جعلت كأنها ليست من العقلاء»[٦٢].

ولا نوافق الرازي على هذا التعليل للتعبير بـ(ما) بقوله عن الأمة: (كأنها

ليست من العقلاء)، ولا الآلوسي على ما ذهب إليه من تعليل التعبير بـ«ما» في قوله عن الإماء: «فكيف إذا كنّ من الزنج والحبش وسائر السودان فلعمري إنهن إن لم يكن من نوع البهائم فما نوع البهائم منهن ببعيد»[٦٣].

فهذا التعبير منهما يخالف تكريم الله للإنسان، سواء أكان أسود أم أبيض لا سيما وأن بعض ملك اليمين من السود قد يحسن حالها، فتسلم ويحسن إسلامها فيتحقق عندها من الورع والتقوى ما لا يتحقق عند كثير من البيض والله يقول: «يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم»(الحجرات/١٣).

والمراد بملك اليمن في الآية «الإماء لأن الذكور من المماليك لا خلاف في حفظ الفرج منهم»[٦٤].

وفي تأكيد القرآن نفي اللوم بـ«إن» في قوله تعالى: (فإنهم غير ملومين) دلالة بينة على سمو المنهج الرباني، ومراعاته لحاجات البشر الفطرية ومتطلباتها.

وتقييدها بعدم اللوم مع أن وطء الأزواج، وملك اليمين مما لا يوجب اللوم ليدل بالمفهوم على أن عدم الحفظ عن من سواهن يوجب اللوم الشرعي، ليحذره أهل الإيمان «واللوم الإنكار على الغير ما صدر عنه من فعل، أو قول لا يليق عند اللائم»[٦٥].

وزيادة في التحذير من عدم صون الفروج قال تعالى: «فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون» (المؤمنون/٧) وذلك حتى لا تتغلب دعوة الشهوة على صاحبها فيقضيها بمعصية.

والوراء اسم مكان في جهة الظهر، ويطلق على الشيء الخارج عن الحد المحدود تشبيها للمتجاوز الشيء بالشيء الموضوع خلف ظهر ذلك الشيء[٦٦]. وفي التعبير بكلمة (وراء) دلالة بيانية على الإعراض الكلي والنسيان والتجاهل.

والإشارة بـ(ذلك) الذي للبعيد إلى الأزواج وملك اليمين لدلالة على علو هذا الباب الطاهر وشرفه وعفته، لكونه مأذوناً به من رب العالمين.

أما الإشارة إلى المعتدين بعدم حفظهم للفروج بـ(أولئك) الذي للبعيد ففيه دلالة على بعد منزلتهم وانحطاطها وشدة اعتدائهم، «فهم الكاملون في العدوان المتناهون فيه، وهذا ما يشير له الإشارة، والتعريف، وتوسيط الضمير المفيد لجعلهم جنس العادين أو جميعهم»[٦٧]، وفيه بيان لمدى مبالغة المعتدين في تعدي الحدود، وخطورة ما يورثه من اختلاط الأنساب، وانتهاك الأعراض، وإتلاف المال، وإيقاد الشر بين العباد.

المطلب الثالث: قوله تعالى: «والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون.والذين هم على صلواتهم يحافظون.»(المؤمنون/الآيتان ٨-٩).

ثم يأتي التوجيه القرآني إلى صفة أخرى من صفات الوارثين وهي حفظ الأمانات، ورعاية العهود في قوله سبحانه «والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون» (المؤمنون/ ٨)، فمن جمال الترتيب لهذه الصفة أنها ذكرت بعد ذكر حفظ الفروج؛ «فلما كان حفظ الفروج من الأمانة الخاصة اتبعه القرآن بالأمانات عامة في الفروج، وفي غيرها، سواء أكان ذلك بينهم وبين الله كالصلاة، والصيام، وغيرها، أو في المعاني الباطنة، كالإخلاص والصدق، أو بينهم وبين الخلق، كالودائع والبضائع»[٦٨].

وتكرار ذكر الاسم الموصول وتأكيده بالضمير هم فيه إشارة إلى أن رعاية الأمانات، والعهود لا تقل منزلة عما سبقها من صفات في تحصيل وراثة الفردوس.

والأمانات مفردها أمانة «وهي كل ما تحمله الإنسان في أمر دينه ودنياه قولا وفعلا، وهذا يعم معاشرة الناس، والمواعيد وغير ذلك»[٦٩].

وعليه فجمع الأمانة دون العهد فيه إشارة لتعددها وتنوعها، «فهي متنوعة متعددة جدا بالنسبة إلى كل مكلف... ولا يكاد يخلو مكلف من ذلك ولا كذلك العهد»[٧٠].

وأما ذكر الأمانة بالإفراد (أمانتهم) في القراءة الأخرى[٧١] ففيه دلالة بلاغية جميلة في مدح الوارثين للفردوس، فهؤلاء الوارثون ينظرون إلى ما بين أيديهم من أمانات على أنها جنس واحدا من حيث الحرص على أدائها، فمع تنوعها وتعددها فهم

يرونها بنفس الدرجة، والمنزلة، والأهمية من حيث الرعاية لها، وكأنها شيء واحد.

ولما كان العهد من أعظم الأمانات خصه القرآن بالذكر لشرفه مع أنه جزء من الأمانة، فمن عاهدك فقد ائتمنك على الوفاء بما أخذه عليك من عهد، «والعهد التزام بين اثنين أو أكثر على شيء يعامل كل واحد من الجانبين الآخر به، وسمي عهدا لأنهما يتحالفان بعهد الله»(٧٢).

والأصل في الرعي: القيام على إصلاح ما يقوله الراعي(٧٣)، وفي الاصطلاح: مراقبة شيء بحفظه من التلاشي بإصلاح ما يفسد منه(٧٤).

ولعلنا عرفنا بذلك سر التعبير بالرعي دون الحفظ؛ إذ المقصود منه الثناء على هؤلاء الوارثين أنهم يقومون بالحفظ وزيادة، فهم لا يكتفون بالحفظ بل هو حفظ مقرون بالمراقبة التامة.

ثم يختم النظم القرآني صفات الوارثين بصفة المحافظة على الصلاة ردا للعجز على الصدر في قوله تعالى «والذين هم على صلاتهم يحافظون» (المؤمنون/٩)، حيث بدأ الصفات بذكر الصلاة، وختمها بذلك أيضا «وإنما أعاد ذكر الصلاة تنبيها على عظم قدرها، وعلو مرتبتها عنده تعالى»(٧٥).

وإعادة الصلاة في ذكر الصفات ليس تكرارا؛ «فالخشوع، والمحافظة، متغايران غير متلازمين، فإن الخشوع صفة للمصلي حال الأداء لصلاته...والمراد بالمحافظة التعهد بشروطها من وقت، وطهارة وغيرها، والقيام على أركانها، وإتمامها حتى يكون ذلك دأبه في كل وقت»(٧٦).

والقرآن حين يبدأ بالحديث عن الصلاة، ويختم بها يدلنا على الأهمية العظيمة لهذه العبادة ففي هذه السورة التي بين الله فيها الصفات التي يستحق صاحبها الفلاح والفوز، بدأ بالصلاة وختم بها، وأكد هذه الأهمية في سورة المعارج حال بيانه لما يخلّص الإنسان من سيء الصفات كالجزع، والهلع، ومنع الخير، حيث بدأ بالصلاة وختم بها كذلك.(٧٧)

أما الحديث عن الخشوع في الصلاة في بداية الصفات فلملحظ بلاغي يرشدنا له القرآن، وذلك لأن الخشية هي المطلوب الأول من الصلاة، وإن كانت

بغير خشوع وخشية فلا محصل لها، ولا ثمرة منها[٧٨]، وأما ختمه بالمحافظة عليها، فللدلالة على أن من أراد أن يحظى بوراثة الفردوس فلا بد وأن يختم حياته وهو محافظ على الصلاة.

وجاء الحديث القرآني عن المحافظة على الصلاة بعد رعاية الأمانات والعهود لأن الصلاة من أجل العبادات التي عهد الله بها للإنسان للمحافظة عليها، فناسب ذلك ذكرها بعد الأمر بحفظ العهد، ولذا عاب الله على بني إسرائيل تضييعهم لما عهد عليهم من صلاة في قوله «فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا»(مريم/٥٩).

وبإنعامنا النظر في الآيات نجد أن الآية التي تحدثنا عن الخشوع في الصلاة جاء ذكر الصلاة فيها بالإفراد، والآية التي تحدثنا عن المحافظة على الصلاة جاءت القراءات فيها بإفراد الصلاة وجمعها[٧٩].

وأما إفراد الصلاة حال الحديث عن صفة الخشوع فيها فالنظم القرآني بذلك يثني على الوارثين للفردوس بأن صلاتهم مهما تعددت وتنوعت إلا أنها على درجة واحدة من الخشوع، فخشوعهم واحد في جنس الصلاة سواء أكانت ثنائية أو ثلاثية أو رباعية، فهم يقفون بين يدي الله من لحظة إلى أخرى وخشيته سبحانه مستمرة دائمة في قلوبهم.

وأما الإفراد والجمع للصلاة عند حديث النظم القرآني عن المحافظة عليها فلملحظ بلاغي رائع أيضا «فجيء في الصلاة بصيغة الجمع إشارة إلى المحافظة على أعدادها كلها تنصيصا على العموم»[٨٠]، وأما قراءة الإفراد ففيها دلالة على أن الصلاة في نظر وارثي الفردوس مع تنوعها وتعددها شيء واحد من حيث المنزلة والمكانة.

وفي إعادة الموصول، وتقديم المعمول دلالة واضحة على أن المحافظة على الصلاة كغيرها من الصفات السابقة في تحصيل وراثة الفردوس.

وإضافة الصلاة إليهم ترشد إلى مدى اهتمامهم بها، فهم قوم لا همّ لهم إلا المحافظة عليها.

ونلاحظ أيضا أن الحفاظ على الصلاة عبر عنه القرآن بالمضارع يحافظون

بخلاف الخشوع في بداية الصلاة حيث عبر عنه بالجملة الاسمية، فمجيء الاسمية مع الخشوع للدلالة على ثباتهم واستمرارهم عليه، أما المحافظة فعبر عنها بالفعلية «لإفادة التجدد والحدوث»[٨١]، فهم يؤدونها في أوقات متعددة متجددة، يقول ابن كثير: «يحافظون» يواظبون عليها في أوقاتها[٨٢].

وقد اقتصر القرآن على ذكر هذه الصفات كطريق للفلاح دون غيرها؛ وذلك لأنها منبع الأخلاق، والأساس الذي ينتظم به أمر الحياتين، وهذا القصر من قبيل القصر الإضافي.

يقول صاحب التفسير الكبير «كيف حكم على الموصوفين بالصفات السبع بالفلاح مع أنه تعالى ما تمم العبادات الواجبة كالصوم، والحج، والجهاد؟ والجواب أن قوله «والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون» يأت على جميع الواجبات من الأفعال، والتروك كما قدمنا، والطهارة دخلت في جملة المحافظة على الصلوات الخمس لكونها من شرائطها»[٨٣].

المطلب الرابع: قوله تعالى: «أولئك هم الوارثون. الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون.»(المؤمنون /الآيتان ١٠-١١).

وبعد ختم القرآن لهذه الصفات العظيمة يشير إلى الموصوف بما سبق من صفات باسم الإشارة الذي للبعيد في قوله تعالى: «أولئك هم الوارثون.الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون»(المؤمنون /١٠-١١) وذلك للإشارة إلى كمال منزلتهم ورفعتهم «وفيه إيذان بعلو طبقتهم، وبعد درجتهم، في الفضل والشرف»[٨٤].

وتوسيط ضمير الفصل «هم» لتقوية الخبر عنهم بذلك، وحذف معمول الوارثين لتذهب النفس فيه كل مذهب «وليحصل إبهام وإجمال، فيترقب السامع بيانه ثم بين الذين يرثون الفردوس لقصد تفخيم الوراثة»[٨٥].

والمراد بوراثة الفردوس الاستحقاق لها، وحقيقة الإرث: انتقال الملكية من الميت إلى ورثته الأحياء[٨٦].

وإنما كان التعبير بالإرث هنا لكون الإرث من أقوى أسباب الملك[٨٧]، ولكون هؤلاء المؤمنين يرثون يوم القيامة منازل أهل النار من الجنة[٨٨].

أو من باب أن الجنة كانت مسكن أبينا آدم عليه السلام فإذا انتقلت إلى أولاده صار ذلك شبيها بالإرث[٨٩].

وذكر الطبرسي أن سبب التسمية «أن الجنة ونعيمها يؤول إليهم من غير اكتساب كما يؤول المال إلى الوارث من غير اكتساب»[٩٠].

وهذا بعيد فقد جاء النص القرآني صريحا ببيان سبب اكتسابهم للجنة وهو أن أعمالهم سبب في وراثتهم للجنة بدليل قوله تعالى: «وتلك الجنة التي أورثتموها بما كنتم تعملون»(الزخرف/٧٢).

وهذا الخطاب القرآني لا يتعارض مع قول رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «لن يدخل أحدا منكم عمله الجنة. قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: ولا أنا إلا أن يتغمدني الله منه بفضل ورحمة»[٩١]. يقول النووي في ذلك: «معنى الآيات أن دخول الجنة بسبب الأعمال، ثم التوفيق للأعمال، والهداية للإخلاص فيها وقبولها برحمة الله تعالى وفضله، فيصح أنه لم يدخل بمجرد العمل، وهو مراد الأحاديث، ويصح أنه دخل بالأعمال أي بسببها، وهي من الرحمة والله أعلم»[٩٢].

والذي يرجح المعنى الأول ما ورد عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- «ما منكم من أحد إلا وله منزلان منزل في الجنة، ومنزل في النار، فإذا مات ودخل النار ورث أهل الجنة منزله، فذلك قوله تعالى: «أولئك هم الوارثون»[٩٣].

والفردوس جزء من الجنة، وهو اسم لأشرف جهات الجنة وأصله «البستان الواسع الجامع لأصناف الثمار»[٩٤] ويدل على هذا الشرف والمنزلة لهذا الجزء من الجنة قول الرسول -صلى الله عليه وسلم- لأم حارثة: «إنها جنة في جنة، وإن ابنك أصاب الفردوس الأعلى، والفردوس ربوة الجنة وأوسطها وأفضلها»[٩٥].

وقد أنث الفردوس باعتبار أنه اسم للجنة، أو لطبقتها العليا[٩٦].

ومعنى الخلود أنهم يدومون فيها لا يخرجون منها، ولا يموتون فيها[٩٧].

وكذلك نجد في الآيات السابقة جمال استخدام القرآن للوصل -وهو عطف بعض الجمل على بعض بالواو- والفصل -وهو ترك العطف بالواو بين الجمل-[٩٨]

يقول عبد القاهر الجرجاني في بيانه للجمل التي ينبغي أن يقع الوصل أو الفصل بينها: «جملة حالها مع التي قبلها حال الصفة مع الموصوف، والتأكيد مع المؤكد فلا يكون فيها العطف البتة لشبه العطف فيها بعطف الشيء على نفسه، وجملة حالها مع التي قبلها حال الاسم يكون غير الذي قبله إلا أنه يشاركه في حكم فيكون فيه العطف»(٩٩).

فالعطف بالواو لم يقع بين قوله تعالى: «قد أفلح المؤمنون» والآية التي تلتها في قوله تعالى «الذين هم في صلاتهم خاشعون»، وذلك لكون ما جاء بعدها تفصيل لما يشمله لفظ الإيمان من أوصاف، فلو وقع بينهما العطف لكان من قبيل عطف الشيء على نفسه لذا كان من بلاغة القرآن ترك العطف في هذا الموضع، أما ما تبقى من صفات فقد وقع بينها العطف بالواو لاشتراك هذه الصفات في تحصيل الفلاح مع وجود التغاير بين الصفة واختها من صفات الوارثين، فالخشوع في الصلاة غير الإعراض عن اللغو والإعراض عن اللغو غير فعل الزكاة وهكذا، ولكنها جميعا تشترك في تحقيق الفلاح، فكان من البلاغة العطف بينها بالواو، وهو ما يسمى بالوصل بين الجمل.

وبذا نكون قد أتينا على بعض الجوانب البيانية التي تجلي للقاريء في الآيات الدقة والجمال في البيان القرآني.

المبحث الثاني: الجانب التربوي في الآيات:

وبعد أن اطلعنا على الجانب البياني في الآيات نعرض للجانب التربوي فيها، وليس من شك في أن للجانب البياني أثرا كبيرا في ترسيخ كثير من القيم التربوية السامية، وذلك لأن فصاحة اللسان ودقة البيان، تولد لدى الإنسان قناعة وجدانية، تحمله على الالتزام بسلوك تربوي معين، وقد جمعت هذه الآيات من سورة المؤمنين إلى جانب دقة البيان دقة في التوجيه التربوي للأفراد والجماعات في المجتمع الإنساني، ويظهر ذلك في جوانب متعددة أجملها في المطالب التالية:

المطلب الأول: ربط الفلاح بالإيمان:

إن الإيمان هو الأساس الذي يبنى عليه غيره من الصفات، وهو: إقرار

وتصديق بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره، ويتضمن الاعتقاد، والانقياد لإيجاب الواجبات، وإباحة المباحات(١٠٠).

وعليه فالإيمان له شطران، الشطر الأول: عقيدة نقية راسخة تستكن في القلب وعمل يظهر على الجوارح، ولا قوام للإيمان بفقد أي ركن منهما(١٠١).

وبذلك يتبين لنا أن الإيمان الحق ينبغي أن يحملنا على الإذعان للرحمن، فيستسلم له سبحانه الوجدان، وتخشع له الأركان، ويظهر أثره عليها.

ومن خلال ذلك يربي الإيمان الصادق الإنسان على الإحسان، ويغرس فيه شعوراً أن الله هو الذي رزقه، وأنعم عليه، وأن الضعفاء في المجتمع إخوانه، فينفق عليهم من المال الذي بين يديه شكرا للمنعم تبارك وتعالى، ويقبل على البر والإحسان، ويمتنع عن الاعتداء، وإيقاع الضرر بالآخرين ظلما وعدوانا.

والإيمان يغرس فيه التضحية والفداء، وتقديم النفس رخيصة في سبيل الله، ومن هنا كان الجهاد في سبيل الله من الإيمان؛ فقد «سئل النبي -صلى الله عليه وسلم-: أي الأعمال أفضل قال: إيمان بالله وجهاد في سبيله»(١٠٢).

والإيمان الصادق يغرس في الإنسان الشعور بالعزة والكرامة «فشعور العزة والكرامة أمر شريف، يحييه الإيمان في نفوس المؤمنين الصادقين... لأن صاحب الإيمان الصحيح يرى أن له نسبة إلى الرب العظيم خالق السموات والأرض، وأنه سنده ومدده، وعند ذلك تعلو نفسه وترتفع»(١٠٣).

وإن نظرة فاحصة في تاريخ أمتنا تبين لنا مدى الأثر التربوي للإيمان في حياة أهله، حيث نقل أمتنا في ما مضى من الذلة إلى العزة، ومن المهانة إلى الكرامة، وإن ما نراه اليوم من شجاعة المجاهدين المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها وثباتهم على الحق في وجه أعتى القوى الطاغية لهو شاهد على صدق ذلك.

والإيمان الصادق يغرس في أهله طيب الأخلاق؛ فيربي فيهم الصدق في التعامل، والتمسك بأحسن السلوك، والثبات على الحق، ليكونوا من خلال ذلك من المفلحين المكرمين بوراثة جنة الفردوس.

لذلك كله جاءت البشارة بتعميم الفلاح للمؤمنين في الدنيا والآخرة تثبيتاً لأهله على الحق، وحثا لسائر الناس في المجتمعات على الانضمام إلى صفوفهم؛ لتشرف برفقة ركب الإيمان، ونيل الفلاح بالجنان الذي هو غاية كل ذي قلب حي.

المطلب الثاني: الخشوع في الصلاة

والجانب التربوي الثاني الذي وجهت إليه الآيات القرانية هو الخشوع في الصلاة وهي سمة سماها القرآن إيمانا في قوله تعالى: «وما كان الله ليضيع إيمانكم»(البقرة/١٤٣) وقد سمى الرسول -صلى الله عليه وسلم- الجانب العملي إيمانا أيضا بقوله: «الإيمان بضع وسبعون شعبة فأفضلها قول لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق»[١٠٤].

فالصلاة سبيل لصلة المؤمنين بالله رب العالمين، وعندما يكتنفها الخشوع فإنها ترقى بصاحبها إلى أسمى درجات التهذيب، والخلق الكريم «فتستشعر قلوبهم رهبة الموقف في الصلاة بين يدي الله، فتسكن وتخشع، فيسري الخشوع منها إلى الجوارح والملامح والحركات، ويغشى أرواحهم جلال الله وحضرته..فلا يشهدون إلا الله، ولا يحسون إلا إياه ولا يذوقون إلا معناه، ويتطهر وجدانهم من كل دنس، وينفضون عنهم كل شائبة»[١٠٥].

لذا كان مما يستهوي الشياطين إشغال المؤمنين عن الخشوع فيها «فمن مكائد الشيطان أن يشغلهم في الصلاة بفكر الآخرة، وتدبر فعل الخيرات، لتمتنع عن فهم ما تقرأه...واعلم أن كل ما يشغلك عن فهم معاني قراءتك فهو وسواس فإن حركة اللسان غير مقصودة بل المقصود معانيها»[١٠٦].

ولا شك بأن الخشوع في الصلاة يترتب عليه سكون سائر الأعضاء «وهذا إنما يظهر ممن في قلبه خوف واستكانة»[١٠٧].

والصلاة الخاشعة الضارعة لها أثرها في إيقاظ مشاعر الخير في المصلين وتصفية أنفسهم من وساوس السوء[١٠٨] من خلال ما تغرسه في النفس، والعقل والوجدان من أن الكبرياء لله وحده، وأن الناس عبيده، ومن أحس بهذا الوجدان منع نفسه من التعالي على الخلق، وأخضعها للحق سبحانه، وتواضع للمؤمنين،

فوقر كبيرهم، ورحم صغيرهم.

ومن الآثار التربوية للصلاة الخاشعة «أنها تكسب صاحبها قوة في الحق وثباتا على الخير، وزيادة في اليقين، وتنفي عنه القلق والهلع، والاضطراب والجزع وتجعله سوي التفكير، مرهوب الجانب، مستقيم السير، لا تهزه الأحداث والصعاب ولا تبطره النعم، ولا تضعفه النقم»(١٠٩).

المطلب الثالث: حفظ اللسان عن اللغو والهذيان

والجانب التربوي الثالث هو حفظ اللسان عن اللغو والهذيان، وقد جاء هذا الجانب بعد الخشوع في الصلاة، وفي ذلك إشارة إلى أن المسلم الذي يؤدي الصلاة بخشوعها يعرض عن اللغو والهذيان، لأنه مما تقتضيه الصلاة، فمن اعتاد العمل الصالح تجنب القول بالباطل وقول الزور.

وبذلك يربي المنهج الرباني المسلم على أنه مسؤول عن كل كلمة تصدر عنه، كي لا يطلق للسانه العنان، قال تعالى: «ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد»(ق/١٨).

وإذا لم يتجنب المسلم اللغو باللسان أوقع نفسه في المهالك، فكم من الخلافات والخصومات سببها اللغو، وإعطاء اللسان العنان في المجالس، وكم من الجفاء بين الناس سببه اللغو، وكم من الدماء تسيل أحيانا بسبب اللغو، فضلا على أن الكلام باللغو يحمّل صاحبه أوزارا وأثقالا يوم القيامة، وفي ذلك يقول الرسول -صلى الله عليه وسلم-: «وهل يكب الناس في النار على وجوههم إلا حصائد السنتهم»(١١٠).

وفي سورة المدثر يحدثنا القرآن أن من أسباب سلوك نار سقر الخوض مع الخائضين، قال تعالى: «ما سلككم في سقر. قالوا لم نك من المصلين. ولم نك نطعم المسكين وكنا نخوض مع الخائضين»(المدثر ٤٢-٤٥).

ويكون إعراض الإنسان عن اللغو بأن لا يفعله ولا يرضى به ولا يخالط من يأتيه(١١١) ويقتضي من باب أولى أيضا عدم مجالسة أهل اللغو، ولذا أثنى الله على عباد الرحمن بأنهم يمرون عن اللغو كراما، قال تعالى: «وإذا مروا باللغو

مروا كراما»(الفرقان /٧٢) فهم لا يدنسهم اللغو، ولا يرضونه، ولا يجالسون أهله، فإن سمعوا من يفعل ذلك نصحوه، محاولين رده إلى جادة الطريق.

وأهل الإيمان عندما ينشغلون بتكاليف العقيدة، وتزكية النفوس وتنقية الضمائر وتقويم السلوك، فإنهم يصونون النفس بذلك عن الفساد والانحراف وانشغالهم بنصرة الدين يمنعهم من الإقبال على اللغو، فقلوبهم لها ما يشغلها من ذكر الله، وتدبر آياته في الأنفس والآفاق، وهو أمر لا يتنافى مع ترويح النفس بالمباح من القول من حين لآخر.

ثم إن اللسان فيه آفتان، آفة السكوت عن الحق، وآفة الكلام بالباطل «فإن استعمل في جمع الأمة ونشر الخير بينها فهو أداة نافعة للمسلمين، إذ به يحصل الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وإن استعمل في تفريق الأمة الإسلامية فهو أداة ضارة للفرد والمجتمع، واللسان له آفات خطيرة على المجتمعات، بل والأفراد والأسر، فبه يحل التفريق بين المرء وزوجه، وبين الأخ وأخيه والصديق وصديقه، بل والدولة والدولة»[١١٢]، إنه سلاح ذو حدين، فيكون نعمة إن استعمل في جوانب الخير، ويكون نقمة إن استعمل في مداخل السوء «فاللسان من نعم الله العظيمة ولطائف صنعه الغريبة فإنه صغير جرمه، عظيم طاعته وجرمه إذ لا يستبين الكفر والإيمان إلا بشهادة اللسان، وهما غاية الطاعة والعصيان»[١١٣].

ولهذا جاءت هذه الآيات من سورة المؤمنين تربي المؤمن على حفظ اللسان فلا تخرج منه لفظة ضائعة، و لا يتكلم إلا خيرا، وكذا التوجيه النبوي من خلال بيانه لمخاطر اللسان، ومحاسنه في قوله عليه السلام: «إن الرجل ليتكلم بالكلمة من رضوان الله، ما كان يظن أن تبلغ ما بلغت، يكتب الله له بها رضوانه إلى يوم يلقاه، وإن الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله، ما كان يظن أن تبلغ ما بلغت يكتب الله له بها سخطه إلى يوم يلقاه»[١١٤].

لذلك كله ينبغي على المؤمن ألا يجلس للتفكه بأعراض الناس أو الخوض فيها بالباطل، وأن يقتصر ما استطاع على الكلام في مهمات الدين والدنيا، يقول النووي رحمه الله: «إعلم أنه ينبغي على المكلف أن يحفظ لسانه عن جميع الكلام إلا كلاما تظهر المصلحة فيه، ومتى استوى الكلام وتركه في المصلحة فالسنة

الإمساك عنه، لأنه قد ينجر الكلام المباح إلى حرام ومكروه، وهذا كثير أو غالب في العادة، والسلامة لا يعدلها شيء»[١١٥].

المطلب الرابع: الإنفاق في سبيل الله

والجانب التربوي الرابع الذي ترشد اليه الآيات هو الإنفاق في سبيل الله والتعود عليه لما في ذلك من آثار تربوية جليلة في حياة الناس، ومن هذه الآثار:

- إصلاح المجتمع من خلال حمل النفس على أدائها «فإنفاق المال يسبغ على المجتمع إصلاحا كاملا يمتلىء به سلاما واتزانا»[١١٦] وذلك من خلال بث روح التعاون الجماعي فيه، فتتحمل الجماعة فقراءها بإزالة جيوب الفقر أو التخفيف من وطأتها على الأفراد في المجتمع المسلم، وبإغاثة الملهوف والمعوز، وابن السبيل.

- ومنها زوال صفة البخل وشدة الحرص من نفوس المنفقين، فالزكاة تطهرهم من دنس البخل والطمع، والدناءة، والقسوة على الفقراء والبائسين، وما يتصل بذلك من رذائل، وبزوال هذه الصفة البغيضة يتحقق الفلاح للمؤمن، قال تعالى: «ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون»(الحشر /٩)، وذلك أن المال له مكانة ومحبة في النفس، وحب الشيء لا ينقطع إلا بتطهير النفس، وتعويدها على مفارقته، كما وأن الإنفاق يخفف من وطأة المحبة للمال التي تؤدي إلى كنزه ومنعه من سبيل الخير، وحرمان الناس منه «فيمتحن القلب بمشقة إخراج الزكاة واقتطاع المال المعشوق»[١١٧]. و تعود الإنفاق سبيل إلى هذا التطهير فيطهر القلب من الشح، وتستعلي النفس على حب الذات، وتنتصر على وسوسة الشيطان بالفقر، ويطهر المال بإخراج حق الفقراء منه.

- ومنها أن إنفاق الموسرين من المؤمنين للمال يزكي نفوس الفقراء من أفراد الأمة بما يرونه من إنفاق المحسنين، وبذلك لا يتمنون زوال هذه النعمة عن أصحابها، بل إنهم يتمنون زيادتها ليزيد نصيبهم منها، فيدعون لهم بالبركة ووفرة الرزق.

- ومنها أن الزكاة من عوامل الوحدة إن حوفظ عليها، لأنها تصل بين

طبقتي الفقراء والأغنياء فتزيل الهوة، وتعطف قلوب الأغنياء على الفقراء، فتنشأ بسببها الرحمة الباعثة على الإحسان، وتزيد المودة في قلوب الفقراء على الأغنياء تقديرا لإحسانهم «فالإنفاق سواء أكان من الزكاة أو من غيرها يربي الضمير الإنساني ويجعل الفرد يحس بأحاسيس مجتمعه، يتألم بآلامه ويسر بسروره»(١١٨).

المطلب الخامس: حفظ الفروج

ثم يرشدنا القرآن في آيات الوارثين من سورة المؤمنين إلى جانب تربوي آخر يتمثل بحفظ النسل من الضياع، والمجتمعات من الفساد، والأوباء، والأمراض فبعد أن ربى القرآن المؤمنين على حفظ ألسنتهم من اللغو، وحثهم على إنفاق أموالهم في الطاعات، وفعل الخيرات، رباهم على حفظ فروجهم من الدنس، فلزموا بذلك جانب العفة والطهارة، وهما جانبان عظيمان فاللغو باللسان، وعدم صون الفروج من أخطر ما يعتري المجتمعات، وزلة الصالح قد تأتيه من انفلات أحد هذين العضوين من جهة ما أودع في الجبلة من شدة استعمالهما(١١٩)، ولذلك يقول عليه الصلاة والسلام: «من يضمن لي ما بين لحييه وما بين رجليه أضمن له الجنة»(١٢٠).

والقرآن حين يستثني من حفظ الفروج الوطء للأزواج فإنه بذلك يطهر البيوت والمجتمعات من المخاطر المترتبة على الفوضى الجنسية، ويقيها من دنس المباشرة في غير الطريق المشروع، ويربي القلوب والأبصار أن لا تميل أو تنظر إلى غير السبيل الحلال، الأمر الذي يحفظ البيوت من الفساد والأنساب، من الاختلاط.

والحقيقة أن مسألة الزواج بمنافعها المتعددة لا تثير شبهة لدى المغرضين الذين يتصيدون في الماء العكر، ولكن ما كثر حوله الكلام ملك اليمين والاستمتاع بها، فهي التي أثار حولها المفسدون الجدل والحديث، و يرد ما أثاروه من باطل، أن منهج الله قد فتح أبواب التحرير للأرقاء على مصراعيه، وضيق مدخله وقصره على الحرب الشرعية، وطالب أفراد المجتمع المسلم بحسن التعامل والإحسان لمن بقي منهم تحت الأسر سواء أكانوا ذكورا أم إناثا، فقال تعالى مثنيا على المطعمين لهم: «ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا»(الإنسان/٨)، وقال عليه السلام موصيا بهم: «إخوانكم خولكم جعلهم الله

تحت أيديكم فمن كان أخوه تحت يديه فليطعمه مما يأكل وليلبسه مما يلبس، ولا تكلفوهم ما يغلبهم، فإن كلفتموهم فأعينوهم»[١٢١].

ثم إن قاعدة التعامل بالمثل لا تخفى، فمن مقتضيات الرق ألا ترتفع الأسيرات إلى مستوى الزوجات بالنكاح، لاسيما وأنهن محاربات، «فأباح الإسلام حينئذ الاستمتاع بهن بالتسري لمن يملكوهن خاصة إلا أن يتحررن لسبب من الأسباب... ولعل هذا الاستمتاع ملحوظ فيه تلبية الحاجة الفطرية للأسيرات أنفسهن، كي لا تشبعها عن طريق الفوضى في المخالطة الجنسية، كما يقع في زماننا هذا مع أسيرات الحرب»[١٢٢].

ثم إن المنهج التربوي الإسلامي يرقى بالأمة إلى مستوى الحرائر بأساليب ووسائل منها: إذا ولدت لسيدها ولدا ثم توفي عنها، وإذا اعتقها تطوعا، أو في كفارة، أو إذا طلبت المكاتبة قال تعالى: «فكاتبوهم إن علمتم فيهن خيرا»(النور/٣٣) وعلى أي حال فالاسترقاق في الحروب ضرورة تتعلق بالمعاملة بالمثل.

وبذلك يتضح لنا أن إباحة الزواج، وملك اليمين فيه جانب تربوي، واجتماعي له أثره في المجتمعات، فمن اعتدى وتجاوز شرع الله بعد ذلك فقد رعى بأكل لا يحل، وأضر بالآخرين.

المطلب السادس : أداء الأمانات وحفظ العهود

والحياة لا تستقيم في المجتمعات، ولا يطمئن الناس، ولا يسعدون إلا بأداء الأمانات إلى أصحابها؛ لأن انعدامها يؤدي إلى إضاعة الحقوق، وعناء الناس، والاعتداء على حقوقهم وخيانتها، وحرمان صاحب الجهد والتعب من عنائه وجهده، بل قد لا يأمن الإنسان على نفسه بضياع الأمانة في المجتمع، ولا حتى على كلمة ينطق بها.

وإن كل ما ذكر من صفات للوارثين مفتقر إلى الأمانة والرعاية والحفظ، فإقامة الصلاة أمانة، وإيتاء الزكاة أمانة الله عند من أنعم عليهم الله بالمال، وكذلك حفظ الفروج، والتقصير في كل ما سبق أو بعضه من صفات مخالف للأمانة.

لذا جاءت آيات القرآن تربي في المسلمين الحرص على أداء الأمانات إلى

أصحابها، قال تعالى: «إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها»(النساء /٥٨) وهذه الأمانة المطلوب رعايتها عامة، فالوديعة للغير جزء من الأمانة، والمطلوب من المسلم حفظها لأصحابها على أكمل وجه، «وليس من الضروري أن تكون الأمانة عينا حسية كالمال والكتاب، فقد تكون سرا، أو نصيحة، أو عملا، وقد تكون في الدين والعلم، وقد تكون الأمانة لنفسك عليك «فأمانة الدين والعلم ما تعلمه من حلاله وحرامه، ومن الخير والشر، وتتحقق التأدية لهذه الأمانة بأن تعمل بما تعلم، أما أمانة النفس عندك فأن تختار ما هو الأصح لها في دنياها وآخرتها»[١٢٣].

وتعظيما لشأن الأمانة قال تعالى «إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوما جهولا» (الأحزاب /٧٢).

يقول أبو السعود: «والمعنى أن تلك الأمانة في عظم الشأن بحيث لو كلفت هاتيك الأجرام العظام التي هي مثل في القوة والشدة- وكانت ذات شعور وإدراك على مراعاتها لأبين قبولها وأشفقن منها»[١٢٤] ومن ذلك نرى عظم الأمانة التي يربينا على أدائها منهج الله.

أما المجتمع الذي لا يربى أبناؤه على أداء الأمانة وحفظ العهد، فهو مجتمع تؤذن شمسه بالغروب والزوال، فإذا انتشرت الخيانة في أمة فلتنتظر ساعتها، ولترقب نهايتها بتداعي الأمم عليها من كل جانب تداعي الأكلة على قصعتها، لكون تضييع الأمانة يغرس فيها الفرقة والحقد، والكراهية والبغضاء، وعدم الثقة بين الأفراد، ويصبح المجتمع مفكك الأوصال، مقطوع الحبال، يسهل القضاء عليه.ولذا قال الرسول صلى الله عليه وسلم «إذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة»[١٢٥].

ويرى محمد محمود حجازي أن فيها حثا للأفراد على أداء الأمانات بأكمل وجه، كما أدت السموات ما طلب منها مع ضخامتها، فيقول: «الله عرض التكاليف على السموات والأرض وما عليها من جبال وسهول وبنيان وغيره فأدت ما طلب منها فورا، وأبت كل هذه الأشياء أن تحمل الأمانة وتؤخر الوفاء بها...أما الإنسان أي بعضه فقد حمل الأمانة... ولم يشفق منها ومن عذابها إنه كان ظلوما لنفسه جهولا، لم يعمل ما يقيه من العذاب المعد لمن خان الأمانة، ولم يوف بالعهد»[١٢٦].

والعهد جزء من الأمانة، ولذا نجد القرآن يحث المؤمنين على الوفاء به، قال تعالى «ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر...والموفون بعهدهم إذا عاهدوا»(البقرة/١٧٧)، وقال «إنما يتذكر أولوا الألباب. الذين يوفون بعهد الله ولا ينقضون الميثاق»(الرعد/١٩-٢٠).

وحتى يربي المنهج المسلم على حفظ العهد يصف من ينقضه بالفسق وهو وصف ينفر من النقض قال تعالى: «وما يضل به إلا الفاسقين الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه»(البقرة ٢٦-٢٧) وشبه من يفعل ذلك بمن تنقض غزلها سفها من بعد قوة وتمكين، قال تعالى: «وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلا إن الله يعلم ما تفعلون.ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثا»(النحل /٩١-٩٢).

وإن من أخطر العهود التي تنقض عهد الله وعهد رسوله؛ «فنقض عهد الله ونقض عهد رسوله -عليه وآله الصلاة والسلام- جزاؤه أن يُسلط على الأمة عدو بعيد عنها، فينتهك حرمتها، ويكسر لأمتها، ويفل بيضتها، ويزيل روضتها، ويذلها ويزلها، فيغتصب أرضها ويعتسف عرضها، وينقص أطرافها ويذل أشرافها، وذلك لأن نقض عهد الله وعهد رسوله -عليه وعلى آله الصلاة والسلام- ليس إلا تعديا للحدود، ومن تعدى حدود الله -تبارك وتعالى- متهاونا بهذه الحدود فمن الحق والعدل ومن الجزاء الأدنى أن يسلط عليه من يتعدى حدوده[١٢٧]، وهو ما حذر منه عليه السلام بقوله «ولم ينقضوا عهد الله وعهد رسوله إلا سلط الله عليهم عدوا من غيرهم، فأخذ بعض ما في أيديهم»[١٢٨].

والمنهج الرباني بإرسائه لقواعد حفظ الأمانة والعهد يجعل المرء المسلم يعيش في المجتمع قرير العين، مطمئن الفؤاد، آمنا على ماله، ولسانه، وعرضه، فلا مكان في المجتمع الرباني للغدر ولا للخيانة، ومن بعد ذلك يجد أفراده أثر هذه التربية فلاحا يحقق الفوز بالجنة يوم القيامة، بعد أن حقق لهم السعادة في الحياة الدنيا.

المطلب السابع: المحافظة على الصلاة

وتربي الآيات القرآنية المسلم على المحافظة على الصلاة من خلال بيان

فضلها في تحصيل الفوز، والفلاح، والنجاة يوم القيامة في قوله تعالى: «والذين هم على صلاتهم يحافظون»(المؤمنون/٩) وذلك لما لهذه العبادة من أثر تربوي عظيم «فإذا كانت العبادات في الإسلام على اختلافها في الكيفية والأداء ذات أثر عميق وتأثير بالغ في سلوك العابد، فهي تجتث رذائل النفس، وتغرس فيها روح الفضيلة وتبعث فيها عزائم الخير، وتنهاها عن دواعي الشر، وتفجر فيها عواطف الرحمة والإحسان»[١٢٩].

- وهي سبيل لنظافة الإنسان وطهارته في المجتمع، وقد وضح هذا الأثر التربوي الرسول بقوله «أرأيتم لو أن نهرا بباب أحدكم يغتسل منه في كل يوم خمس مرات هل يبقى من درنه شيء؟ قالوا لا يبقى من درنه شيء، قال فذلك مثل الصلوات الخمس يمحو الله بهن الخطايا»[١٣٠].

- والمحافظة على الصلاة وسيلة للتآلف والترابط، والتواد، والتعاطف بين أفراد الأمة، ما دام المسلم يؤديها بأمانة وإخلاص.

- وهي سبيل من سبل الوحدة بين المسلمين، وإزالة الفوارق باصطفافهم غنيا وفقيرا بين يدي الله سبحانه وتعالى.

- والمحافظة عليها سبيل من السبل التي تصل المرء بخالقه إذا حافظ عليها وأداها بوقتها خاشعا متضرعا لله كما كان يؤديها رسول الله صلى الله عليه وسلم.

- والمحافظة على الصلاة تبعث في المؤمنين روح الانضباط والنظام، وتزيل الفوارق فتتلاحم أرواحهم، وتمتزج المشاعر، ويصبحوا كالجسد الواحد.

- ثم إن للصلاة المحافظ عليها جوانب تربوية روحية، وفكرية، واجتماعية.

أما الجانب الروحي فهو ما يشعر به المصلي من السكينة والطمانينة وهو يقف بين يدي الله مستحضرا عظمته، مما يكتسبه من صلابة في الحق، وكبح لجماح نفسه، فينهاها عن هواها وغيها.

وأما الجانب الفكري فيحصل بمقدار تدبره لما يتلو من الكتاب، فيكون أكثر تحملا كلما كان أكثر تأملا، فيسد بذلك ثغرات الشيطان.

وأما الجانب الاجتماعي، فهي تنهى عن الفحشاء والمنكر، وتشعر صاحبها بما عليه لغيره من حقوق، وتربيه على النظام والطاعة في غير معصية الله، فهو خلف إمامه يتعلم النظام فلا يتقدم ولا يتأخر(١٣١).

والقرآن الكريم وهو يبين لنا صفات ورثة الفردوس في هذه الآيات، يكون قد أرشدنا إلى صفات قد حوت أصول التقوى الشرعية، فبدأ بوصف الإيمان وهو أساس التقوى، ثم الصلاة وهي عمادها، وهي التي تنهى عن الفحشاء والمنكر، وذكر الخشوع وهو تمام الطاعة وذكر الإعراض عن اللغو وهو متعلق بإمساك اللسان عن الهذيان، فمن أمسك عنه سهل عليه الإمساك عن غيره، وذكر الإنفاق في سبيل الله، وفي ذلك مقاومة لداء الشح واتقاؤه فلاح، وذكر حفظ الفروج، وبها يحفظ الأنساب، ويصون النسل.

وذكر أداء الأمانة وهي مظهر من مظاهر حفظ الحقوق على أصحابها، وذكر الوفاء بالعهد، وهو مظهر لخلق العدل في المعاملة، وذكر المحافظة على الصلاة وهي علامة على المحافظة على حدود الله، والاستجابة لأمره، وبذلك ينتظم أمر المؤمن في الحياتين(١٣٢).

ومن خلال ما سبق نكون قد اطلعنا على منهج رباني يحدد الشخصية المؤمنة المرجو لها الفلاح في الدنيا والآخرة، وما يتركه ذلك من أثر حاسم فعال وسعادة في حياة الأمة الإسلامية.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

الخاتمة

إن القرآن الكريم كتاب هداية ومنبع نور رباني، ربى به الله على يد رسوله صلى الله عليه وسلم أعظم نماذج عرفها التاريخ، وذلك لما فيه من قيم تربوية تحفظ المجتمعات، وتحيي فيها الفضيلة، وتصونها من الرذيلة، مقترنة بدقة بيانية عالية، يعجز عن مباراتها الثقلان، ومن ذلك الآيات العشر الأولى من سورة المؤمنين، وهي موضع الدراسة في هذا البحث، وقد توصلت من خلالها إلى النتائج التالية:

١- إن الصلاة ركن متين، وعماد من أعمدة الدين لهذا بدأت بها صفات الوارثين في سورة المؤمنين وختمت بها.

٢- الإنفاق للمال في سبل الله سبيل من سبل الإصلاح التربوي للنفس والمجتمع.

٣- اللسان نعمة عظيمة عندما يحفظه صاحبه عن اللغو، ويصونه عن الهذيان ويصبح نقمة عندما ينغمس في اللغو والهذيان، تورد صاحبها الهلاك، والكب على الوجوه في النار.

٤- العفة والطهارة في الأسر أساس من الأسس التربوية التي جاءت هذه الآيات القرآنية داعية لها.

٥- أحيطت هذه الآيات من سورة المؤمنين إلى جانب الأسس التربوية بدقة بيانية عالية، وبلاغة سامية، يعجز عن مضاهاتها البشر.

٦- تربية الأفراد على الأمانة، وحفظ العهد جانب عظيم له أثره في تحقيق سعادة الناس في المجتمعات، وحمايتهم من الكراهية والفرقة، والأحقاد في الدنيا وتحصيل الفوز بالجنة في الآخرة.

٧- الصفات التي حوتها سورة المؤمنين سبيل مبين، وأساس متين في تحصيل وراثة الفردوس.

٨- القرآن الكريم هو الصراط المستقيم، والمنهج القويم للسلوك التربوي السليم.

فهرس المراجع

١- إحياء علوم الدين، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٩٩٨.

٢- الأذكار، يحيى بن شرف النووي، تحقيق عبد القادر الأرنؤوط، دار الملاح، عمان.

٣- إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، محمد بن محمد العمادي، دار الكتب العلمية بيروت، ١٩٩٩.

٤- أسباب النزول، أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي، المكتبة الثقافية، بيروت.

٥- إعراب القرآن وبيانه، محيي الدين الدرويش، دار ابن كثير، بيروت.

٦- آفات اللسان في ضوء الكتاب والسنة، سعيد بن علي القحطاني، مكتبة الضّامري، مسقط.

٧- الإيضاح في علوم البلاغة(البيان، المعاني، البديع) محمد بن سعد الدين القزويني، دار الجيل بيروت.

٨- البحر المحيط في التفسير، محمد بن يوسف (أبوحيان)، دار الفكر، بيروت.

٩- البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة، عبد الفتاح القاضي، مكتبة مصطفى الحلبي، القاهرة.

١٠- التبيان في تفسير القرآن، محمد بن الحسن الطوسي، دار إحياء التراث، بيروت.

١١-التبيان في علم المعاني والبديع والبيان، حسين محمد الطيبي، عالم الكتب، بيروت، ١٩٨٧.

١٢- التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، دار سحنون، تونس.

١٣- تفسير القرآن الحكيم (المنار)، محمد رشيد رضا، دار الفكر، بيروت.

١٤- تفسير القرآن العظيم، إسماعيل بن كثير، دار الجيل، بيروت.

١٥ التفسير القرآني للقرآن، عبد الكريم الخطيب/ دار الفكر العربي، بيروت.

١٦- التفسير الكبير ومفاتيح الغيب، محمد بن عمر (الفخر الرازي)، دار الكتب العلمية، بيروت.

١٧- التفسير الكاشف، محمد جواد مغنية، دار العلم للملايين، بيروت، ط٣.

١٨- التفسير الواضح، محمد محمود حجازي، دار التفسير، الزقازيق.

١٩- جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد بن جرير الطبري، دار المعرفة، بيروت، ١٩٨٤.

٢٠- الجامع الصحيح، محمد بن إسماعيل البخاري، المكتبة السلفية، القاهرة.

٢١- الجواهر الحسان في تفسير القرآن، عبد الرحمن بن محمد الثعالبي، مؤسسة الأعلى، بيروت.

٢٢- خماسيات مختارة في تهذيب النفس الأمارة، أ.د. فضل حسن عباس، دار البشير، عمان.

٢٣- دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، دار المعرفة، بيروت، ١٩٨٢.

٢٤- رصف المباني في شرح حروف المعاني، أحمد بن عبد النور المالقي، مجمع اللغة العربية، دمشق.

٢٥- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، دار الكتب العلمية، بيروت.

٢٦- زاد المسير في علم التفسير، أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي، المكتب الإسلامي، بيروت ١٩٨٧.

٢٧- سنن ابن ماجة، محمد بن يزيد بن ماجة، تحقيق د. بشار عواد، دار الجيل، بيروت، ١٩٩٨.

٢٨- سنن البيهقي الكبرى، أحمد بن حسين البيهقي، دار الباز، مكة المكرمة.

٢٩- سنن الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى، دار الكتب العلمية، بيروت.

٣٠- سنن النسائي بشرح السيوطي، جلال الدين السيوطي، دار المعرفة، بيروت، ط٥، ١٩٩٩.

٣١- صحيح مسلم بشرح النووي، يحيى بن شرف النووي، دار إحياء التراث، بيروت.

٣٢- العقيدة الإسلامية، عطية محمد عطية وزملاؤه، دار الفكر، عمان، ط١، ١٩٩٠.

٣٣- العقيدة الإسلامية وأسسها، حسن حبنكه، دار القلم، دمشق، ط٧، ١٩٩٤.

٣٤- العقيدة في الله، د. عمر الأشقر، مكتبة الفلاح، الكويت، ط٤، ١٩٨٣.

٣٥- عوامل تقوية الوحدة الإسلامية في الشعائر الدينية، أحمد بن حمد الخليلي،

مكتبة الضّافري، مسقط.

٣٦- فتح البيان في مقاصد القرآن، صديق حسن خان، دار الفكر العربي، بيروت.

٣٧- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية، محمد بن علي الشوكاني، المكتبة العصرية، بيروت، ١٩٩٧.

٣٨- فضل الزكاة، إبراهيم سعيد العبري، مكتبة الضّامري، سلطنة عمان.

٣٩- في ظلال القرآن، سيد قطب، دار الشروق، بيروت.

٤٠- كتاب توحيد الخالق، عبد المجيد الزنداني، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ١٩٩٤.

٤١- الكشاف عن حقائق أنوار التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، جار الله محمود الزمخشري دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٨٦.

٤٢- لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور، دار إحياء التراث، بيروت.

٤٣- مجمع البيان في تفسير القرآن، أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي، دار المعرفة، بيروت.

٤٤- مجموعة الفتاوى (كتاب التوحيد)، أحمد بن تيمية الحراني، مكتبة العبيكات، الرياض.

٤٥- المحرر الوجيز، ابن عطية، المجلس العلمي بفاس.

٤٦- معاني القرآن وإعرابه، (شرح وتحقيق د. عبد الحميد شلبي) أبو إسحاق إبراهيم السري، دار إحياء التراث، بيروت، ١٩٩٤.

٤٧- معجم المصطلحات والفروق اللغوية، أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني، مؤسسة الرسالة، بيروت.

٤٨- المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، دار المعرفة، بيروت، ط٢، ١٩٩٩.

٤٩- المستدرك على الصحيحين، الحافظ أبو عبد الله النيسابوري، دار المعرفة

بيروت.

٥٠- المواريث في الشريعة الإسلامية، محمد علي الصابوني، دار العلم العربي، حلب.

٥١- الموطأ، مالك بن أنس، دار الآفاق، المغرب، ١٩٩٦.

٥٢- ميزان الاعتدال في نقد الرجال، شمس الدين الذهبي، دار الفكر، بيروت.

٥٣- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، برهان الدين إبراهيم بن حسن البقاعي، دار الكتب العلمية، بيروت.

٥٤- نيل الأوطار في أحاديث سيد الأخيار شرح منتهى الأخبار، محمد بن علي الشوكاني، مكتبة التراث، القاهرة.

الهوامش:

(١) أخرجه الترمذي في كتاب تفسير القرآن، سنن الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى، دار الكتب العلمية، بيروت (٣٠٥/٥).

(٢) أخرجه الترمذي في كتاب تفسير القرآن، (٣٠٦/٥).

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الجهاد والسير، محمد بن إسماعيل البخاري، الجامع الصحيح، المكتبة السلفية، القاهرة (٣٠٤/٢).

(٤) الحافظ أبو عبد الله النيسابوري، المستدرك على الصحيحين، دار المعرفة بيروت، (٣٩٢/٢). وانظر أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي، أسباب النزول، المكتبة الثقافية، بيروت، (ص١٧٨).

(٥) شمس الدين الذهبي، ميزان الاعتدال في نقد الرجال، دار الفكر، بيروت، (٤٤١/٤).

(٦) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى، أحمد بن حسين البيهقي، سنن البيهقي الكبرى، دار الباز، مكة المكرمة، (٢٨٣/٢) وانظر الواحدي، أسباب نزول، (ص١٧٨).

(٧) أخرجه البخاري في كتاب الصلاة، باب رفع البصر إلى السماء في الصلاة، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري(٢٤٤/١).

(٨) انظر البيهقي، السنن الكبرى، (٢٨٣/٢). وانظر محمد بن علي الشوكاني، نيل الأوطار في أحاديث سيد الأخيار شرح منتهى الأخبار، مكتبة التراث، القاهرة، (١٨٩/٢).

(٩) انظر محمد بن يوسف (أبوحيان) /البحر المحيط في التفسير/دار الفكر، بيروت (٥٤٦/٧).

(١٠) انظر برهان الدين إبراهيم بن حسن البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، دار

الكتب العلمية، بيروت /(١٨٢/٥).

(١١) انظر عبد الكريم الخطيب/التفسير القرآني للقرآن، دار الفكر العربي، بيروت، (١١١٠/٥).

(١٢) محمد بن عمر (الفخر الرازي)، التفسير الكبير ومفاتيح الغيب، دار الكتب العلمية، بيروت، (٢٦٤/٨).

(١٣) أبوحيان محمد بن يوسف، البحر المحيط، (٥٤٨/٧). وانظر محمود الآلوسي البغدادي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، دار الكتب العلمية، بيروت، (١٢/١٨). وانظر البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، (١٨٦/٥). وانظر صديق حسن خان، فتح البيان في مقاصد القرآن، دار الفكر العربي، بيروت، (٢٧٠/٦).

(١٤) عبد الكريم الخطيب، التفسير القرآني للقرآن، (١١١٧/٥).

(١٥) سيد قطب إبراهيم، في ظلال القرآن، دار الشروق، بيروت، (٢٤٧٥/٤).

(١٦) أحمد بن عبد النور المالقي، رصف المباني في شرح حروف المعاني، مجمع اللغة العربية، دمشق، (ص٣٩٢).

(١٧) انظر: محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، دار سحنون، تونس، (٨/٩).

(١٨) انظر أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي، مجمع البيان في تفسير القرآن، دار المعرفة، بيروت، (١٥٧/٧). وانظر: محمد بن الحسن الطوسي، التبيان في تفسير القرآن، دار إحياء التراث، بيروت، (٣٤٨/٧).

(١٩) انظر :محمد بن مكرم بن منظور، لسان العرب، دار إحياء التراث، بيروت، (٣١٦/١٠).

(٢٠) الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، دار المعرفة، بيروت، ١٩٩٩، (ص٣٨٦).

(٢١) ابن عاشور، التحرير والتنوير، (٨/٩).

(٢٢) انظر: أبو اسحاق إبراهيم السري، معاني القرآن وإعرابه، (شرح وتحقيق د. عبد الحميد شلبي)، دار إحياء التراث، بيروت، (٧٠/١).

(٢٣) انظر اسماعيل بن كثير، تفسير القرآن العظيم، دار الجيل، بيروت، (٣٩/١) وانظر محمد بن علي الشوكاني، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية، المكتبة العصرية، بيروت، ١٩٩٧، (٤٤/١). وانظر أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٧، (٢٤/١). وانظر محمود الزمخشري، الكشاف عن حقائق أنوار التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٨٦، (٣٩/١).

(٢٤) ابن عاشور، التحرير والتنوير، (٨/٩).

(٢٥) انظر البقاعي، نظم الدرر، (١٨٢/٥).

(٢٦) فضل حسن عباس، خماسيات مختارة في تهذيب النفس الأمارة، دار البشير، عمان،

ص٩٦.

(٢٧) الزمخشري، الكشاف، (٤٢/٣).

(٢٨) الآلوسي، روح المعاني، (٤/١٨).

(٢٩) محمد على سلطاني، الأدوات النحوية ومعانيها في القرآن، دار العصماء، سوريا، ط١، ٢٠٠٠م، ص٦٧.

(٣٠) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (٢٣٨/٣).

(٣١) أبو حيان، البحر المحيط، (٥٤٦/٧).

(٣٢) ابن عاشور، التحرير والتنوير، (٤٨٠/١).

(٣٣) الفخر الرازي، التفسير الكبير، (٢٥٩/٨).

(٣٤) الآلوسي، روح المعاني، (٥/١٨).

(٣٥) انظر ابن عاشور، التحرير والتنوير، (٩/٩).

(٣٦) محمد الطوسي، التبيان في تفسير القرآن، دار إحياء التراث، بيروت، (٣٤٨/٧). وانظر أبو على الفضل بن الحسن الطبرسي، مجمع البيان في تفسير القرآن، (١٥٨/٧).

(٣٧) البقاعي، نظم الدرر، (١٨٣/٥).

(٣٨) الزمخشري، الكشاف، (١٧٥/٣).

(٣٩) ابن عاشور، التحرير والتنوير، (١٠/٩).

(٤٠) انظر محيي الدين الدرويش، إعراب القرآن وبيانه، دار ابن كثير، بيروت، (١٨٩/٥).

(٤١) انظر الراغب، المفردات في غريب القرآن، (ص٣٣٣).

(٤٢) الآلوسي، روح المعاني، (٥/١٨).

(٤٣) صديق حسن خان، فتح البيان في مقاصد القرآن، (٢٦٦/٦).

(٤٤) ابن عاشور، التحرير والتنوير، (١٢/٩).

(٤٥) محمد بن جرير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، دار المعرفة، بيروت، ١٩٨٤، (٤/١٠).

(٤٦) الفخر الرازي، التفسير الكبير، (٢٦١/٨).

(٤٧) عبد الرحمن بن محمد الثعالبي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، مؤسسة الأعلى، بيروت، (٩٢/٣).

(٤٨) اسماعيل بن كثير، تفسير القرآن العظيم، (٢٣٩/٣).

(٤٩) انظر محمد محمود حجازي، التفسير الواضح، دار التفسير، الزقازيق، (٦١٢/٢).

(٥٠) الآلوسي، روح المعاني، (٥/١٨).

(٥١) أخرجه الترمذي في كتاب السفر، باب ما ذكر في فضل الصلاة، أبو عيسى الترمذي، سنن الترمذي (١٦٥/٣).

(٥٢) الزمخشري، الكشاف، (١٧٦/٣).

(٥٣) عبد الكريم الخطيب، التفسير القرآني للقرآن،(١١١/٥).

(٥٤) أبو البقاء أيوب بن موسى الكفوي، معجم المصطلحات والفروق اللغوية، مؤسسة الرسالة، بيروت، (ص٦١٦).

(٥٥) البقاعي، نظم الدرر، (١٨٤/٥).

(٥٦) انظر صديق حسن خان، فتح البيان، (٢٦٧/٦).

(٥٧) الآلوسي، روح المعاني، (١٨٤/٥).

(٥٨) عبد الكريم الخطيب، التفسير القرآني للقرآن، (١١٢/٥).

(٥٩) الطبرسي، مجمع البيان، (١٥٨/٧).

(٦٠) الآلوسي، روح المعاني، ٦/١٨.

(٦١) انظر: الزمخشري، الكشاف، (١٧٦/٣) وانظر البقاعي، نظم الدرر، (١٨٤/٥).

(٦٢) الفخر الرازي، التفسير الكبير، (٢٦٢/٨).

(٦٣) الآلوسي، روح المعاني، (٦/١٨).

(٦٤) الطوسي، التبيان في تفسير القرآن، (٣٤٩/٧).

(٦٥) ابن عاشور، التحرير والتنوير، (١٥/٩).

(٦٦) انظر نفس المرجع السابق، (١٥/٩).

(٦٧) الالوسي، روح المعاني، (٧/١٨).

(٦٨) البقاعي، نظم الدرر، (١٨٤/٥).

(٦٩) الثعالبي، الجواهر الحسان، (٩٢/٣). وانظر ابن عاشور، التحرير والتنوير، (٢٢٢/١١).

(٧٠) الآلوسي، روح المعاني، (٦/١٨).

(٧١) حيث قرأ المكي بغير ألف بعد النون على الإفراد (لأمانتهم) والباقون بالألف على الجمع «لأماناتهم» أنظر عبد الفتاح القاضي، البدور الزاهرة، ص٢١٥.

(٧٢) انظرابن عاشور، التحرير والتنوير، (١٧/٩).

(٧٣) انظر: ابن الجوزي، زاد المسير، (٤٦١/٥). وانظر الرازي، التفسير الكبير، (٢٦٢/٨).

(٧٤) انظر: الزمخشري، الكشاف، (١٧٧/٣). وانظر الطوسي، التبيان في تفسير القرآن، (٣٥٠/٧).

(٧٥) الطوسي، مجمع البيان، (١٥٨/٥). وانظر الآلوسي، روح المعاني، (١٢/١٨). وانظر سيد

قطب، في ظلال القرآن، (٢٤٥/٤).

(٧٦) الفخر الرازي، التفسير الكبير، (٢٦٢/٨). وانظر الزمخشري، الكشاف، (١٧٧/٣). وانظر الآلوسي، روح المعاني، (١٢/١٨).

(٧٧) انظر فضل عباس، خماسيات مختاره، ((ص٣٣).

(٧٨) انظر الآلوسي، روح المعاني، (١٢/١٨. وانظر عبد الكريم الخطيب، التفسير القرآني للقرآن، (١١١٥/٥).

(٧٩) حيث قرأالأخوان وخلف بغير واو بعد اللام على التوحيد(على صلاتهم يحافظون) وغيرهم قرأ بواو بعدها على الجمع (على صلواتهم يحافظون) انظر عبد الفتاح القاضي، البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة ص٢١٥.

(٨٠) الزمخشري، الكشاف، (١٧٧/٣). وانظر ابن عاشور، التحرير والتنوير، (١٨/٩).

(٨١) الآلوسي، روح المعاني، (١٢/١٨).

(٨٢) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (٢٣٩/٣).

(٨٣) الفخر الرازي، التفسير الكبير، (٧١/١٢).

(٨٤) الآلوسي، روح المعاني، (٢٠/٩).

(٨٥) ابن عاشور، التحرير والتنوير، (٢٠/٩).

(٨٦) انظر محمد علي الصابوني، المواريث في الشريعة الإسلامية في ضوء الكتاب والسنة، دار العلم العربي، حلب، (ص٣٤).

(٨٧) انظر ابن عاشور، التحرير والتنوير، (٢٠/٩).

(٨٨) انظر ابن الجوزي، زاد المسير، (٤٦١/٥). وانظر الثعالبي، جواهر الحسان، (٩٢/٣). وانظر البقاعي، نظم الدرر، (١٨٥/٥).

(٨٩) انظر الفخر الرازي، التفسير الكبير، (٢٦٣/٨).

(٩٠) الطبرسي، مجمع البيان، (١٥٩/٧).

(٩١) أخرجه مسلم في كتاب صفات المنافقين وأحكامهم، يحيي بن شرف النووي، صحيح مسلم بشرح النووي، (١٣٣/١٧).

(٩٢) نفس المرجع السابق، (١٣٣/١٧).

(٩٣) أخرجه ابن ماجه في كتاب الزهد، سنن ابن ماجه، محمد بن يزيد بن ماجه، تحقيق دبشار عواد، دار الجيل، بيروت، (٧٠٢/٥).

(٩٤) ابن عاشور، التحرير والتنوير، (٢١/٩).

(٩٥) أخرجه الترمذي في كتاب تفسير القرآن، أبوعيسى الترمذي، سنن الترمذي، (٣٠٦/٥).

(٩٦) انظر الآلوسي، روح المعاني، (١٢/١٨).

(٩٧) انظر صديق خان، فتح البيان، (٢٧٠/٦).

(٩٨) انظر أبو عبد الله محمد بن سعد الدين القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة (البيان، المعاني، البديع)، ص٨٦. وانظر حسين بن محمد الطبي، التبيان في علم المعاني والبديع والبيان، عالم الكتاب، بيروت، ١٩٨٧، (ص٣٠).

(٩٩) عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، دار المعرفة، بيروت، ١٩٨٢، (ص١٨٧).

(١٠٠) انظر: أحمد بن تيمية الحراني، مجموعة الفتاوى (كتاب التوحيد)، مكتبة العبيكات، الرياض، (٤٩٠/١). وانظر: عبد المجيد الزنداني، كتاب توحيد الخالق، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ١٩٩٤، (٩/١).

(١٠١) د. عمر الأشقر، العقيدة في الله، مكتبة الفلاح، الكويت، ط٤، ١٩٨٣، (ص١٦. وانظر عطية محمد عطية وزملاؤه، العقيدة الإسلامية، دار الفكر، عمان، ط١، ١٩٩٠- (ص١٤).

(١٠٢) أخرجه البخاري في كتاب الإيمان، باب الجهاد من الإيمان، صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل، (١٢/١).

(١٠٣) محمد رشيد رضا، تفسير المنار، (٣٠٣/١).

(١٠٤) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، صحيح مسلم بشرح النووي، يحيى بن شرف، دار إحياء التراث، بيروت، (٧/٢).

(١٠٥) سيد قطب، في ظلال القرآن، (٢٦١/٢٤٥٤٨/٤).

(١٠٦) أبو حامد الغزالي، إحياء علوم الدين، (١٦٠/١).

(١٠٧) ابن عطية، المحرر الوجيز، المجلس العلمي بفاس، (٢٢٢/١١). وانظر الثعالبي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، (٩١/٣).

(١٠٨) انظر عبد الكريم الخطيب، التفسير القرآني للقرآن، (١١/٥).

(١٠٩) فضل عباس، خماسيات مختارة في تهذيب النفس الأمارة، دار البشير، عمان (ص٣٣).

(١١٠) الترمذي في كتاب الإيمان، أبو عيسى الترمذي، سنن الترمذي، (١٢/٥).

(١١١) انظر الفخر الرازي، التفسير الكبير، (٢٦١/٨).

(١١٢) سعيد بن علي القحطاني، آفات اللسان في ضوء الكتاب والسنة، مكتبة الضّامري، مسقط، (١٦٥).

(١١٣) الغزالي، إحياء علوم الدين، (٩٨/٣).

(١١٤) أخرجه مالك في كتاب الكلام، الموطأ، مالك بن أنس، دار الآفاق، المغرب، (ص٨٥٥).

(١١٥) يحيى بن شرف النووي، الأذكار، تحقيق عبد القادر الأرنؤوط، دار الملاح، الأردن، (ص٢٨٤).

(١١٦) ابراهيم سعيد العبري، فضل الزكاة، مكتبة الضّامري، سلطنة عمان، (١٩).

(١١٧) الغزالي، إحياء علوم الدين، (١٥٣/١).

(١١٨) أحمد بن حمد الخليلي، عوامل تقوية الوحدة الإسلامية في الشعائر الدينية، مكتبة الضّامري للنشر، مسقط، ١٩٩٢، ط٢، (ص٢٩).

(١١٩) انظرابن عاشور، التحرير والتنور، (١٥/٩).

(١٢٠) أخرجه البخاري في كتاب الرقائق، محمد بن إسماعيل البخاري، الجامع الصحيح، المكتبة السلفية، القاهرة، (١٨٤/٤).

(١٢١) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، يحيى بن شرف النووي، صحيح مسلم بشرح النووي، دار إحياء التراث، بيروت، (٢٠١/٢).

(١٢٢) سيد قطب، في ظلال القران، (٢٤٥٦/٤).

(١٢٣) محمد جواد مغنية، التفسير الكاشف، دار العلم للملايين، بيروت، ط٣-، (٣٥٥/١).

(١٢٤) ابو السعود، إرشاد العقل السليم، (٢٢١/٤). وانظر: ابن الجوزي، زاد المسير، (٤٢٨/٦).

(١٢٥) أخرجه البخاري في كتاب الرقائق، محمد بن اسماعيل البخاري، الجامع الصحيح، (١٨٦/٤).

(١٢٦) محمد محمود حجازي، التفسير الواضح، (١٣٤/٣).

(١٢٧) فضل عباس، خماسيات مختارة، (ص٤٤٦).

(١٢٨) أخرجه بن ماجة في كتاب الفتن، باب العقوبات، (١٣٣٣/٢).

(١٢٩) أحمد بن حمد الخليلي، عوامل تقوية الوحدة الإسلامية في الشعائر الدينية، مكتبة الضّافري، مسقط، (ص١٨).

(١٣٠) اخرجه النسائي في كتاب الصلاة، سنن النسائي بشرح السيوطي، جلال الدين السيوطي، دار المعرفة، بيروت، (٢٤٩/١).

(١٣١) فضل عباس، خماسيات مختارة في تهذيب النفس الأمارة، (ص١٢٦-١٢٧).

(١٣٢) ابن عاشور، التحرير والتنوير، (١٨/٩-١٩).